صوت الصعاليك
مجلة عراقية إخبارية إلكترونية
ثقافية سياسية مجتمعية ـ تصدر مرتين بالشهر

على حافة الرصيف

عندما تفقد الدولة قدرتها على أداء الوظائف الأساسية التي تعتبر جوهرية لوجودها تشمل هذه الوظائف عادة إدارة شؤون الحكم، الحفاظ على النظام الداخلي، تقديم الخدمات العامة، وضمان الأمن والاستقرار لمواطنيها. لكنها، إذا ما لم تتمكن من توفير الاستقرار السياسي والاجتماعي، إلى جانب انهيار المؤسسات الوطنية، تعتبر عندئذ، وفقا للخصائص الاعتبارية المتعارف عليها في النظم المدنية، دولة فاشلة.

العراق، بسبب انهيار سيادة القانون وضعف النظام القضائي والقانوني وانعدام الأمن والاستقرار المجتمعي والسياسي وانتشار الفساد والمحسوبية والجريمة المنظمة أو سيطرة الميليشيات المسلحة، لا زال يعاني من عدم قدرة الدولة على توفير الخدمات الأساسية وارتفاع معدلات الفقر والبطالة ونقص المياه والكهرباء والرعاية الصحية وانهيار البنى التحتية وغياب المشاركة السياسية الحقيقية وانعدام الشفافية. والأخطر: عجز الدولة عن حماية حدودها ومواردها الوطنية أو مواطنيها. وتفاقم الصراع والخلافات بين القوى والأحزاب الماسكة بالسلطة، بحيث أصبحت، غالبا بطرق غير قانونية، أسيرة انتاج الأزمات السياسية والمجتمعية وضعف المؤسسات الرسمية.

إن انقسام النخب السياسية، قد أدى إلى غياب التوافق حول القرارات المصيرية، وخلق حالة من الفوضى السياسية وعدم قدرة الحكومات المتعاقبة على تلبية تطلعات الشعب، مما عمق الصراع الداخلي وتدهور الأوضاع واستغلال الجماعات المتطرفة للفجوات الأمنية لإثارة الفتن وأعمال العنف. أيضا، أضعفت الدولة وجعلتها عرضة للتدخلات الدولية وعدم القدرة على ضمان المصالح الوطنية وإلى فقدان المواطنين الثقة بها، الأمر الذي زاد من مشاعر الإحباط واليأس...

من الطبيعي، عندما تكون الحكومات غير قادرة على بسط سيطرتها على الدولة ومحيطها الجيوديمغرافي، والأحزاب السياسية والجماعات الفئوية تتنافس على السلطة والنفوذ بطرق غير مشروعة، تضعف الإدارة المركزية والاقتصادية ويؤدي ذلك إلى انهيار الأسواق المحلية وإلى غياب الاستثمار وإهمال الخدمات العامة وتدهور جودة الحياة. وعندما تصبح سلطة الدولة غائبة، تسعى الجماعات المسلحة لملء الفراغ وانتشار تجارة المخدرات والأسلحة كوسائل تمويل للجهات الفاعلة غير الحكومية. وتتآكل ثقة الناس بالمؤسسات الرسمية وتدفع بهم إلى الهروب من البلاد بحثا عن الأمان.

إن ازدواجية صنع القرار بين "الدولة والدولة العميقة" في العراق، أدت إلى فشل تعزيز الديمقراطية وسيادة القانون وبناء دولة المواطنة والحكم الرشيد. أيضا، إلى انعدام حكومة مركزية قوية بإمكانها الحد من تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية ومحاربة الجريمة السياسية والفساد وتحقيق الشفافية والعدالة الاجتماعية. إن إشراك جميع المكونات، العرقية والدينية، والفئات المجتمعية والشخصيات الاجتماعية في العملية السياسية، من شأنه العون لتقوية مؤسسات الدولة لتصبح مستقلة عن الضغوط السياسية الداخلية والخارجية وتطوير أنظمة الإدارة والخدمات العامة وتعزيز قدرات القوات الأمنية بشكل يحترم حقوق الإنسان والسعي لحل النزاعات الداخلية عبر الحوار والمصالحة الوطنية.

إذن، الدولة الفاشلة ليست مجرد نتيجة لفشل الحكومة، بل هي حالة مركبة تنتج عن ضعف المؤسسات والتفاوت الاجتماعي والصراعات السياسية. فيما بناء الدولة يتطلب رؤية استراتيجية متكاملة تعالج الأسباب الجذرية وتعزز الاستقرار والتماسك الاجتماعي.

السؤال: هل بإمكان القوى المدنية التي تتعارض مواقفها مع سوء إدارة الدولة، مواجهة الفوضى السياسية وإنهاء الأزمات الخطيرة التي يتعرض لها المجتمع العراقي برمته منذ عقدين من الزمن. فيما تربعت طبقة سياسية طائفية، شيعية سنية كردية، على مقاليد الحكم، انصب همها على المكاسب والامتيازات الفئوية والجهوية، لكنها وضعت العراق ومصالحه الوطنية والجغرافية عرضة للتهديد والابتزاز والعدوان الخارجي، الإقليمي والدولي.

نعتقد في ظل الظروف الراهنة التي تتعرض لها المنطقة، والعراق بشكل خاص، إلى تهديدات وفرض الإرادات الخارجية، على أحزاب السلطة وأصحاب القرار في العراق تغيير عقيدتهم السياسية ومغادرة الهرج الطائفي وشعار "أخذناها وما ننطقها بعد؟." وأن يقتنعوا، بان، سلطة فوضوية، لا يمكن إلا أن تنتج أزمات خطيرة، مواجهتها، تتطلب مرحلة استراتيجية شاملة ومتكاملة تتجاوز ردود الفعل العشوائية إلى خطط مدروسة تعزز الوحدة الوطنية، الشرعية، وتوظف القوى المجتمعية والسياسية لتحقيق التغيير والإصلاح والتداول السلمي للسلطة عبر انتخابات نزيهة بإشراف دولي لحفظ سيادة العراق وأمن شعبه...

المحرر

ساهم معنا في نشر الحقيقة

المواضيع المنشورة تعبر عن آراء كتابها وهيئة التحرير غير مسؤولة أو ملزمة بنشر ما يردها

راسلونا:

Saaleq21@gmail.com
kontakt@alsaalek.de
www.alsaalek.de

غوغل: صوت الصعاليك

المجلة

عراقية حتى النفس الأخير، هدفها الدفاع عن سيادة العراق واستقلاله، سيادة الأمن فيه وسعادة أهله.. إعلاء شأنه وإظهار إرثه الحضاري بأبهى صورة. هي التربة بكل خصوبتها وهي القوميات والطوائف، الأديان والمذاهب. صوت الحالمين بعراق خال من الموت، من الجوع والمرض والقهر، من السلاح المحمي والميليشيات التي تنشر الرعب والدمار، من الطائفية المقيتة والمقابر الجماعية.. هي حلم من كان ينتظر. فهل لا يحق له ذلك؟. فمن يجد في نفسه كفاية لعودة البسمة لوجوه صدمتها الأحزان والظلم والجوع والتسلط فليبارك، ومن لم يجد فليول الأدبار..

"صوت الصعاليك"

ومض يسابق الزمن لعين بغداد.. لناسها وأزقتها التي تحمل على مدى الدهر أسماء ومعان وألقاب لا مثيل لها في الدنيا.

كن معنا...

تدعو هيئة تحرير "صوت الصعاليك"، القراء والمتابعين الكرام، الترويج لهذه "المجلة" الإلكترونية وإيصالها لمن يعنيه الأمر من أصحاب الفكر ووسائل إعلام كيفما هو متاح وممكن.

كما ترحب بالأخبار والمواضيع المتعلقة بالشأن العراقي.. السياسية والمجتمعية والبيئية والمعيشية والتربوية وفي مجال الثقافة والفن والفكر. مع الالتزام بقواعد العمل الصحفي والموضوعية .

في كل الأحوال إننا نطمح لمزيد من الدعم وإبداء الرأي، ولا نستثني النقد والنصح بهدف تطوير المجلة، شكلاً ومضموناً. نأمل الكثير من المبادرات الداعمة لما نقوم به في مسار الإعلام ـ الوطني، أيضا الدفاع عن مصالح وحقوق كل فئات المجتمع العراقي بجميع طوائفه وقومياته.. شأننا ان نحمي هويتنا وانتمائنا لوطن غالٍ اسمه العراق.

لماذا صوت الصعاليك

الوطن للجميع
والعدل أساس المُلك

منذ انطلاقهما في الاول من يناير ـ كانون الثاني 2021

اعلنت أسرة تحرير

مجلة "صوت الصعاليك"

وموقع صوت الصعاليك الألكتروني

بأنهما وسيلتان إعلاميتان تتناولان ما يعني الشأن العراقي بطريقة حيادية مستقلة بعيداً عن الاملاءات الحزبية والطائفية او الدعاية لهما. ايضا ، عدم الترويج لآراء سياسية تتعلق بشأن دول ليس للعراق مصلحة فيها

نؤكد بأن هدفنا الدفاع عن وطننا ومصالح شعبنا، عن سيادة العراق واستقلاله ، سيادة الأمن فيه وسعادة أهله.. كشف المستور تحت مظلة النفاق السياسي ـ الذي لازال يعاني منه الشعب العراقي منذ عقود

نعتذر عن نشر ما يردنا من مقالات وآراء ليس لها علاقة بالشأن العراقي العام

ما يعنينا تناول الوضع العراقي ـ المجتمعي والانساني والثقافي والاقتصادي والسياسي والبيئي والقانوني

نتقدم بجزيل الشكر والامتنان لكافة الزميلات والزملاء الذين عودونا على احترامهم لهذه المباديء.

مقتضيات النشر

صوت الصعاليك

" في الوقت الذي نؤكد فيه: بأن ما ينشر لا يعبر بأي حال من الأحوال عن رأي المجلة، إنما يعبر عن رأي الكاتب حصرا. **ونشدد:** بأن المقالات التي تحتوي أسلوب الشخصنة المباشرة، أو وثائق غير موثوق من مصداقيتها سوف لن تنشر.. "

كما تعتذر عن نشر المقالات والبحوث والمعلومات المثيرة للجدل أو للأسباب التالية:

- لا تتناسب مع استقلالية "المجلة" وأهدافها الإعلامية... أو
- تتعارض وأخلاقيات العمل الصحفي ومبادئه ... أو
- ذات صبغة حزبية مباشرة... أو
- غير موثوقة المصادر ..

ونود الإشارة :

حرصنا "كصحيفة" سابقا، ومن ثم تحولها "مجلة"،على نشر المقالات التي لا تتجاوز 1500 كلمة، وفق مبدأ الأسبقية والأهمية. والمواضيع التي تتجاوز الحد المسموح، تنشر على "حلقات" وان تعذر ذلك سنقوم بنشرها فقط، في موقعنا الإلكتروني "صوت الصعاليك".

www.alsaalek.de

ندعو الكتاب الأفاضل مراعاة ما ورد.

تصدر مرتين في الشهر
في أول (1) ومنتصف (15) الشهر
المقالات: التي لا تصل قبل 5 أيام من اصدار كل عدد جديد، تنشر حسب الأهمية في العدد اللاحق.. بإستثناء الإخبارية، لها الأولوية.

أسرة التحرير

إدارة المجلة:

رئيس التحرير..... عصام الياسري
مدير التحرير..... ندا الخوام
تنسيق..... كامل عبدالله
إدارة الشبكة..... م. غيث عدنان
رسوم..... الفنان منصور البكري
إدارة..... د. أشواق لطفي
تصميم..... دان ميديا DAN media

"صوت الصعاليك" عراقية مستقلة حرة...

صوت من سقطوا لأجل استعادة الوطن، ومن لا زالوا في الطريق سائرين لوضع حد لنزيف الدم والقتل والفساد ومن أجل رفاهية الشعب وأمنه وصناعة مستقبل زاهر وحياة أفضل...

بالمطلق ... لكن ما العمل؟.

- الشعب مصدر السلطات، ولا شرعية لأي حكم دون الرجوع لرأي الشعب.
- العراقيون على مختلف مذاهبهم السياسية والدينية والقومية، متساوون أمام القانون.
- لا أفضلية لحزب أو طائفة أو جنس على أخر، وحقوق الجميع يجب أن يرعاها القانون ويصونها الدستور.
- حق المواطنة نظيرا للدولة المدنية .
- العراق للجميع، ومبدأ الشعور بالانتماء والهوية لا مناص عنهما.
- كي ينعم المواطن بحياة هنيئة ومستقبل أفضل، على الدولة تقع مسؤولية رعاية حقوقه وتوفير العمل والتعليم والصحة والعدالة الاجتماعية والأمن له.
- العدالة الاجتماعية دون دستور حضاري أعده حكماء وأقره الشعب، لا يمكن أن تتحقق بشكل عادل.
- الفساد بأشكاله « «مهنة المارقين وانتهاك للقيم والأخلاق. إن لم تحاربه السلطة، سيكون إنحرافا، يعرض الدولة والمجتمع إلى مخاطر ».

العراق ...

بحيرة، كان عبر التاريخ ولازال مركزا تتجاذبه الاطراف الدولية، بل هو مركز العالم. ومنه نبعت اشعاعاتها الثقافية وجابت الدنيا. وكما كانت بابل حاضرة العالم القديم ستبقى بغداد حاضرة العالم وتبقى مدينة للعلم والثقافة.

تساؤلات تنتظر الإجابة:

- ما الهدف من التغطية على استهداف علماء العراق وقتلهم بدم بارد؟.
- لماذا لا يتم نشر محاضر التحقيق للموقوفين المغيبين الأبرياء؟.
- هل الانسان أثمن رأس مال.. أم الطائفية في عصر لا قيمة فيه للانسان؟.
- لمصلحة من عدم شرعنة دولة المواطنة ومن المسؤول؟.
- لماذا يغض القضاء النظر عن محاربة الفساد وملاحقة الفاسدين؟
- لماذا لا يحصر السلاح بيد الدولة والقضاء على ميليشيات الأحزاب؟.
- لماذا لا تقطع مخصصات الوزراء والنواب؟
- لماذا لا تخفض رواتب الرئاسات والوزراء والنواب بما يتناسب مع الدخل العام؟
- لماذا لا يتم إلغاء رواتب الرئاسات والوزراء والنواب المنتهية واجباتهم؟
- لماذا لا تجري مسائلة هؤلاء عن مصدر ثرواتهم... **كيف .. متى ومن أين؟..**
- لماذا لا تضع الحكومة يدها على الأموال المسروقة منذ 2003 وإستعادة ممتلكات الدولة وعقاراتها في الداخل والخارج؟
- **لماذا لا يُفعل قانون من أين لك هذا؟**
- لماذا لا يصحح قانون الاحوال المدنية؟
- لماذا لا تساوى حقوق المرأة بالرجل؟
- لماذا لا تضمن رعاية الأمومة والطفولة؟
- لماذا لا يحارب العنف الأسري؟
- ولماذا لا يفعل قانون الرعاية الاجتماعية؟

ماذا بعد؟..

على كل القوى، بما ذلك السياسية، التي تدعو إلى تحقيق العدالة المجتمعية وتغيير نظام الحكم نحو دولة المواطنة، أن تواصل الضغط السياسي والجماهيري لتحقيق ما تطمح إليه. ذلك يتطلب الدفع باتجاه تحقيق أمرين مهمين:

- المطالبة بإجراء استفتاء شعبي يتعلق باصلاح أربعة أمور:
  - قانون الأحزاب
  - قانون الانتخابات
  - المفوضية العليا للانتخابات
  - تعديل الدستور
- مساءلة كل الأحزاب الناشئة والمعارضة الراغبة بالمشاركة في الانتخابات المحلية أو المركزية، بغض النظر عن نتائجها والموقف منها:ـ هل قادرة حقا فيما إذا تمكنت من الوصول إلى السلطة، معالجة الأوضاع برمتها وأهمها: إنهاء الميليشيات ومحاربة الفساد والفاسدين مهما كانت مراكزهم؟. وكيف؟؟

من هنا يتوجب على أصحاب الفقه والرأي والفكر والإعلام والثقافة، محاربة النفاق السياسي بكل الوسائل المتاحة لإنقاذ الشعب والوطن من الضياع!!

صوت الصعاليك تفتح نافذة لاستطلاع الرأي العام .

الدولة الفاشلة...
هل يصلح أصحاب السلطة في العراق...

عندما تتعرض البلاد إلى أزمات داخلية وخارجية، سياسية أو عسكرية أو اقتصادية، كما هو حال العراق منذ احتلاله وتعقيد المشهد بشكل دراماتيكي منذ بدء حرب "طوفان الأقصى" في غزة وتمادي الفصائل المسلحة العراقية بالضغط العسكري في العديد من جبهات الصراع يستوجب إعادة النظر بالسياسة الداخلية والخارجية وهيكلة مؤسسات الدولة بطريقة تضمن الاستقرار السياسي والأمني في البلاد.

إن مواجهة فوضى الحرب داخلي لحماية أمن الدولة والمواطنين على حد سواء، أيضا مصير القوى السياسية الفاعلة بصنع القرار السياسي والإداري، كان ولا زال يتطلب توازنا بين العمل الشعبي والتنظيم السياسي. بمعنى آخر: التعامل مع القضايا الحساسة وأهمها المتعلقة بمصير الدولة ومستقبل شعبها، أو بالأحرى مسألة "الحرب والسلم" باعتبارها قضية مصيرية، يجب أن يتم تناولها من خلال خطوات عملية تعكس الفهم السياسي العميق والمسؤولية الوطنية. إنما، ليس لموقف السلطة الحاكمة وحدها وتعدد ضغوط الجهات السياسية المنفذة وتأثيراتها السلبية عليها.

إنه من المهم بمكان أن يكون للمعارضة دور فاعل لتسديد الرأي، الذي من شأنه أن يرتكز على تقديم بدائل قابلة للتطبيق بديلا عن الاكتفاء بالنقد. بهذا الأسلوب، يمكن للمجتمع والقوى المعارضة أن تحدث تغييرا مستداما يعيد الاستقرار ويحقق مصالح الشعب... لكن ذلك يتطلب وجود إطار سياسي واضح ومسؤول من قبل السلطة الحاكمة والجهات السياسية الأخرى يؤدي إلى مشاركة المعارضة باتخاذ القرارات الاستراتيجية، سيما، القرارات المتعلقة بالسلم والحرب وكيفية إدارة شؤون الدولة بعيدا عن مراعاة المصالح والامتيازات الفئوية والعقائدية على حساب المصلحة الوطنية الشاملة.

إن غياب الرؤية الاستراتيجية وانعدام التنسيق بين جميع قوى المجتمع الفاعلة ومنها المعارضة السياسية الوطنية وقوى المجتمع المدني، قد يجعل بعض الجهات لأن تفتعل أزمات لتحقيق مكاسب سياسية ضيقة وتعريض الدولة لحروب أو نزاعات غير ضرورية تزيد من التوتر الداخلي والخارجي. وعلى المستوى الدولي تدمير العلاقات الدبلوماسية مع الدول الأخرى بسبب سياسات وقرارات ارتجالية خطأ. ونتيجة عدم اتساق السياسة الخارجية وفقدان المصداقية وممارسة مواقف وتحالفات إقليمية ودولية متناقضة، اتسع عمق الفجوة بين الحكومة والمجتمع، وانعكست الأزمات الاقتصادية والاجتماعية سلبا على الاستقرار الداخلي ومصالح المواطنين العامة.

إذن، ما الخطوات التي يمكن أن تسهم في معالجة الوضع وتحقيق التوازن بين السلطة الحاكمة والجهات السياسية بما يخدم الدولة والمجتمع...

إن تحسين صورة النظام شكلي من خلال وسائل الإعلام المختلفة التابعة لأصحاب السلطة، لم يكن يوما، منذ تشكيل مجلس الحكم على يد الحاكم الأمريكي "بريمر" وما قبله نظام صدام وحزب البعث، موضع اهتمام لمعالجة الأوضاع مهما كان نوعها، أو اقتراح حلول ناجعة للقضايا المصيرية، بقدر رفع منسوب الضجيج الإعلامي بمناسبة أو دونها لتحسين صورة النظام وقراراته المتمردة التي كلفت الدولة والمجتمع العراقي الكثير. الحلول الحقيقة التي يمكن أن تساعد العراق للخروج من أزماته الداخلية والخارجية، يجب أن تقترن بالمصداقية والمسؤولية الأخلاقية والقانونية والنزاهة السياسية، على النحو الموضوعي غير المعقد التالي: إنشاء لجنة وطنية أعضائها من القوى والأحزاب العراقية المعارضة الفاعلة وأحزاب السلطة الحاكمة لبحث القرارات المصيرية. اعتماد الشفافية في معالجة أسباب ودوافع القرارات المتعلقة بالسلم والحرب. إعداد دراسات استشرافية وتحليل آثار القرارات قبل اتخاذها لتجنب الأخطاء. تعزيز الوحدة الوطنية وإطلاق مبادرات للحوار السياسي، تجمع مختلف الأطراف السياسية تحت مظلة وطنية. إشراك المجتمع المدني ليكون رقيبا وشريكا في صياغة السياسات الكبرى. بناء استراتيجية طويلة الأمد ووضع خطة واضحة تخدم مصلحة الدولة بعيدا عن الانقسامات السياسية. تأسيس نظام حكم وطني بعيد عن الخطاب الأيديولوجي الشعبوي للتعامل مع الأزمات بحرفية دون التسبب في أضرار. تقوية نظام المساءلة وتفعيل آليات الرقابة للتأكد من أن القرارات تصب في مصلحة الوطن ومحاسبة المخطئين والفاسدين بغض النظر عن مناصبهم أو مواقعهم السياسية.

الأهم، على السلطة الحاكمة أن تكون القدوة في الانضباط والشفافية والالتزام بالمصلحة العامة. وإن تكون موضوعية ومعنية أيضا، بضرورة اتخاذ قرار مشترك يستند إلى تعزيز العمل الوطني الجماعي بما يضمن استقرار الدولة ويحمي مصالح المجتمع العامة لا المصالح الفئوية... ذلك يتطلب تحقيق مبدأ التفاوض مع الآخر الذي يمتلك رؤية فكرية وسياسية، علمية، وتاريخية مختلفة، لضمان مستقبل البلاد وتطورها... ومبدأ التفاوض من الناحية القانونية والفلسفية، هو عملية أساسية لتحقيق التفاهم بين الأطراف المختلفة، وهو ركيزة أساسية لتحقيق الحقوق في ظل تعقيدات العلاقات الإنسانية والسياسية. ينظر إلى التفاوض بوصفه وسيلة سلمية لحل النزاعات وتحقيق الأهداف المشتركة دون اللجوء إلى الصراع. ومع ذلك، يواجه مبدأ التفاوض في العراق جدلا بشأن فعاليته في تحقيق العدالة وضمان المساواة، خاصة عندما يكون التفاوض بين أطراف غير متكافئة في القوة أو الموارد... وعلى المستوى السياسي، فالتفاوض يشكل أداة محورية في النزاعات الداخلية والخارجية. أثبتت تجارب التاريخ أن التفاوض غالبا ما يؤدي إلى نتائج مستدامة أكثر من المواجهات العسكرية أو العقوبات الاقتصادية...

جداريات من ذاك المكان

تضامنوا معنا
Solidarity with us

أضواء ..
” المأساة العراقيةِ دونَ حلولٍ جَدية “

في ميناء أم قصر الشمالي ضبط حاويات معدة للتهريب

أعلنت هيئة المنافذ الحدودية، يوم 9 يناير عن ضبط 8 حاويات معدة للتهريب في منفذ ميناء أم قصر الشمالي.

وقال المتحدث الرسمي باسم الهيئة، علاء الدين القيسي، إن “مديرية منفذ ميناء أم قصر الشمالي، تمكنت من ضبط (8) حاويات في نقطة البحث والتحري مخالفة لشروط وضوابط الاستيراد.”

وأضاف أنه “من خلال كشف البضائع وتدقيق المعاملات الجمركية المنجزة تبين وجود (أدوية بشرية مختلفة، مستلزمات طبية، شواصي دراجات نارية، قرطاسية، ألعاب أطفال، عطور) جميع المواد غير مصرح بها معدة للتهريب”، لافتا الى أنه “تم تنظيم محضر ضبط أصولي وإحالة جميع الحاويات والمضبوطات إلى الجهات المختصة لاتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة.”

في ظل القانون.. أزمة السلاح المنفلت وبيعهُ “بلا حل”..

من البلدان التي تشهد إقبالا واسعا الإمتلاك السلاح العراق، مما يؤثر على أمنهُ واستقراره ويهدد الدولة وسياستها. ومع غياب الرادع والعقوبات التي تفرض على حيازة سلاح غير المرخص من الدولة مما ساعد على انتشار جرائم القتل في الآونة الأخيرة وما تسمى بالدگة العشائرية وتضخم أسلحة العشائر والقبائل التي تخوض بين أسبوع وآخر معارك، يدوم بعضها لعدة ساعات، يذهب ضحيتها أشخاص من الطرفين، هذا إضافة إلى تصفية الحسابات ،ولم تكن الدولة هنا مصدر قوة باتخاذ قرار يُحد من مظاهر التسلح بل وهناك من يتاجر بالسلاح وبيعهُ في وضح النهار ويعتبر سوق مريدي من الأسواق التي يذهب جزء منها ببيع مختلف الأسلحة والعتاد تحت مرأى وعين القانون إذاً أين هي الشعارات الرنانة تجاه نزع السلاح وحصرهُ بيد الدولة.

عدد المغيبين قسرياً في العراق الأعلى في العالم

ان حقوق الانسان باتت من اهم سمات تطور الانسانية والعيش بسلام وطمأنينة وسط التزامات وتعهدات يقوم بها من يمتلك القرار في تسيير الدولة وبناء ركائزها المجتمعية ومفاصلها الانتاجية والوظيفية والسياسية والاقتصادية التي تنصب بمحصلتها في خدمة الانسانية والانسان بوصفه الركيزة التي تبنى عليها المجتمعات المتطورة، هو، احترام الدولة لحقوق الانسان.

إلا أن منظمات حقوقية كشفت مؤخر عن انتهاكات كبيرة لحرمة منظمات حقوق الإنسان وإمكانياتها بالعراق, لكنها شددت على أن وجودها هام وضروري، وخاصةً بأن مبادئ حقوق الإنسان لا تزال دون الرعاية أو الاهتمام خاصة مع وجود الأعداد الكبيرة من المعتقلين الذين لا يزالون بانتظار دورهم بالمحاكم والمجالس القضائية.

وكشفت عن وقوع أعمال ومحاولات قتل، وتهديدات، ومضايقات ضدّ العديد من المدافعين عن حقوق الإنسان في العراق، وان سلسلة أعمال قتل مستهدفة جرت في السنوات الاخيرة خاصة بعد تظاهرات تشرين الاول عام ٢٠١٩ ضد قادة الحركة الاحتجاجية لمناهضة الفساد وتأييد الحقوق الأساسية والكرامة للشعب العراقي.

موت على طريقة الانتحار هروب من الواقع السوداوي

انتشرت في المجتمع العراقي في الآونة الاخيرة ظاهرة الانتحار بشكل كبير وملفت، فلا يمضي يوم او يومين دون أن نسمع خبر انتحار أحد الاشخاص او أكثر، فما الذي يدفع المنتحرين للتخلي عن حياتهم واخذ هذا القرار الصعب بهذه الجرأة.

إن الانتحار ليس بالأمر السهل لأي انسان، فمهما كانت الظروف صعبة، يجب على الانسان ان يواجهها بقوة، ليحافظ على توازن الحياة، لأن ضعفه سيؤدي لهلاكه.
الفترة الماضية لعام 2024 سجّلت ارتفاعاً كبيراً في نسب الانتحار في المحافظات كافة.

آراء

دور المنظمات غير الحكومية في السياسة العالمية

سعد عزالدين احمد

تعتبر المنظمات غير الحكومية (NGOs) من أبرز الفاعلين في الساحة السياسية العالمية، حيث تلعب دورًا حيويًا في تعزيز القضايا الاجتماعية والبيئية والاقتصادية. تعكس هذه المنظمات تطلعات المجتمعات المحلية وتساهم في تشكيل السياسات على المستويات المحلية والدولية. يتجاوز تأثيرها مجرد تقديم الخدمات، لتصبح أدوات فعالة للتغيير الاجتماعي والسياسي.

تعريف المنظمات غير الحكومية

تُعرف المنظمات غير الحكومية بأنها منظمات غير ربحية تعمل على تقديم خدمات أو الدفاع عن قضايا معينة. هذه المنظمات ليست مرتبطة بالحكومة ولا تسعى لتحقيق ربح مالي. تشمل مجالات عملها حقوق الإنسان، البيئة، الصحة، التعليم، والتنمية الاقتصادية، وتعمل في سياقات متنوعة تتراوح بين المحلي والوطني والدولي.

التاريخ والتطور

تعود جذور المنظمات غير الحكومية إلى القرن التاسع عشر، ولكنها بدأت تكتسب أهمية أكبر بعد الحرب العالمية الثانية. في الخمسينيات والستينيات، ظهرت العديد من المنظمات مثل الصليب الأحمر ومنظمة العفو الدولية، التي ساهمت في تعزيز حقوق الإنسان والمساعدات الإنسانية. تطورت هذه المنظمات بشكل كبير خلال العقود الماضية، لتصبح جزءًا لا يتجزأ من النظام الدولي، خاصة مع ظهور العولمة.

التأثير على السياسات العالمية

1. التأثير على الحكومات
تسهم المنظمات غير الحكومية في الضغط على الحكومات لتبني سياسات معينة. من خلال الحملات والمناصرة، تستطيع هذه المنظمات التأثير على اتخاذ القرارات السياسية. على سبيل المثال، تمكنت منظمات حقوق الإنسان من الضغط على الحكومات لإلغاء عقوبة الإعدام وتعزيز حقوق الأقليات. كما تلعب دورًا في فضح الانتهاكات والمساهمة في تحقيق العدالة.

2. التأثير على المؤسسات الدولية
تؤثر المنظمات غير الحكومية أيضًا على المؤسسات الدولية مثل الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية. من خلال المشاركة في المؤتمرات الدولية وتقديم المشورة، يمكن لهذه المنظمات التأثير على السياسات العالمية. على سبيل المثال، ساهمت منظمات بيئية مثل "جرينبيس" في وضع سياسات للحد من التغير المناخي وتعزيز الاستدامة.

3. التأثير في المجتمعات المحلية
تعمل المنظمات غير الحكومية على تعزيز الوعي الاجتماعي والسياسي في المجتمعات المحلية. من خلال التعليم والتدريب، تساعد هذه المنظمات الأفراد على فهم حقوقهم والمشاركة في عمليات اتخاذ القرار. كما تقوم بتنفيذ مشاريع تنموية تحسن من مستوى المعيشة وتساهم في تحقيق التنمية المستدامة.

المنظمات غير الحكومية والتنمية المستدامة

تعتبر المنظمات غير الحكومية من الفاعلين الرئيسيين في جهود التنمية المستدامة. تعمل هذه المنظمات على تعزيز المشاريع التنموية التي تهدف إلى تحسين حياة الأفراد والمجتمعات. تشمل هذه المشاريع مجالات مثل:

- التعليم: تنفيذ برامج تعليمية تهدف إلى تحسين جودة التعليم وزيادة الوصول إليه.
- الصحة: تقديم خدمات صحية وتعزيز الوعي الصحي، خاصة في المناطق النائية.
- المساواة بين الجنسين: دعم حقوق المرأة وتعزيز مشاركتها في الحياة السياسية والاقتصادية.
- التنمية البيئية: العمل على مشاريع للحفاظ على البيئة ومواجهة التغير المناخي.

التحديات التي تواجه المنظمات غير الحكومية

رغم الأدوار المهمة التي تلعبها المنظمات غير الحكومية، فإنها تواجه العديد من التحديات، منها:

1 - التمويل: تعتمد العديد من المنظمات على التبرعات والمنح، مما يجعلها عرضة لتقلبات التمويل. في بعض الأحيان، يمكن أن تؤدي التحديات المالية إلى تقليص الأنشطة أو إغلاق المنظمات.

2. الرقابة الحكومية: في العديد من البلدان، تواجه المنظمات غير الحكومية قيودًا صارمة من قبل الحكومات التي تخشى من تأثيرها. يمكن أن تشمل هذه القيود تسجيل المنظمات، وفرض ضوابط على التمويل، ومراقبة الأنشطة.

3. الشرعية: تواجه بعض المنظمات صعوبة في إثبات شرعيتها، مما يؤثر على قدرتها على العمل بفعالية. يتطلب بناء الثقة مع المجتمعات المحلية والحكومات استثمارًا كبيرًا في الوقت والموارد.

4. التحديات التكنولوجية: في عصر المعلومات، تواجه المنظمات غير الحكومية تحديات تتعلق بالأمان السيبراني واستخدام التكنولوجيا بشكل فعال. يتطلب العمل في بيئة رقمية استراتيجيات جديدة للتواصل والمناصرة.

الاستراتيجيات التي تتبناها المنظمات غير الحكومية

للتغلب على التحديات المذكورة، تعتمد المنظمات غير الحكومية على مجموعة من الاستراتيجيات:

- الشراكات: التعاون مع حكومات ومؤسسات دولية ومنظمات أخرى لتعزيز الفعالية والوصول إلى موارد إضافية.
- **التوعية**: زيادة الوعي بالقضايا الاجتماعية والسياسية من خلال حملات إعلامية وورش عمل ومؤتمرات.
- البحوث والدراسات: إجراء بحوث لتقديم بيانات موثوقة تدعم القضايا التي تتبناها، مما يسهم في تعزيز الشرعية.
- التدريب والتطوير: الاستثمار في تدريب العاملين في المنظمات لتعزيز مهاراتهم وتسهيل تحقيق الأهداف.

المستقبل

من المتوقع أن تظل المنظمات غير الحكومية تلعب دورًا حيويًا في السياسة العالمية في المستقبل. مع تزايد التحديات العالمية مثل التغير المناخي، الهجرة، والنزاعات المسلحة، ستحتاج الحكومات والمؤسسات الدولية إلى التعاون مع المنظمات غير الحكومية لتحقيق حلول فعالة. تعتبر المنظمات غير الحكومية أيضًا جزءًا من الحركة العالمية نحو تحقيق أهداف التنمية المستدامة (SDGs) التي وضعتها الأمم المتحدة.

إن المنظمات غير الحكومية تمثل جزءًا أساسيًا من المجتمع المدني وتلعب دورًا رئيسيًا في تشكيل السياسات العالمية. من خلال الضغط على الحكومات والتأثير على المؤسسات الدولية، تساهم هذه المنظمات في تحقيق التغيير الإيجابي وتعزيز التنمية المستدامة. في عالم يتسم بالتحديات المتزايدة، ستظل الحاجة إلى العمل المشترك بين الحكومات والمنظمات غير الحكومية أمرًا حيويًا لتحقيق الأهداف العالمية. إن دعم هذه المنظمات وتعزيز قدراتها سيكون له تأثير كبير على مستقبل السياسة العالمية والتنمية البشرية.

***

رأي

إنـهيار المشروع القومي العربي وصعود المشروع العبري

زكي رضا

"الفكر القومي العربي اليوم ليس فكرا يحتذى به من قبل جماهير الشعوب العربية، بعد أن فقد بريقه الذي جاء مع إرهاصات قيامه الأولى قبل إنهيار الخلافة العثمانية، متأثرا بالفكر القومي الذي ساد أوربا لعدة قرون قبل تبلور تلك الإرهاصات كفكرة وطموح للأستقلال من قبل بعض الطلّاب العرب في باريس تأثّرا بالأفكار الأوربية والنضال ضد الإحتلال العثماني للبلاد العربية، والذين ترجموا نزعاتهم القومية الى نزعات سياسية من خلال تأسيسهم لـ (الجمعية العربية الفتاة) في باريس في العام 1891، والتي مهّدت الطريق لأنعقاد المؤتمر العربي في باريس أيضا عام 1913 ، والتي مهّدت بدورها الطريق لأندلاع الثورة العربية الكبرى عام 1916 بدعم بريطاني. والفكر القومي العربي فشل كآيديولوجية وكنظام للحكم في تطبيق الفكرة القومية كالتي كانت عند الأوربيين فشلا ذريعا، في الوقت الذي نجح فيه الأوربيون بتجاوز حالة الأحباط والفشل التي رافقت تجربتهم الأولى في قيام ونهوض ما تسمّى بالقومية الأوربية الجامعة أو ما يطلق عليها بالهويّة الأوربية بتأثيرات دينية مسيحية في بدايات القرن الثالث عشر، وبناء إطار محدد لتعريف هذه الهويّة بعد الحرب العالمية الثانية رغم الحروب والصراعات الدامية التي دارت بينهم."

أنّ الهويّة الاوربية التي نراها اليوم من خلال وحدة الدول الأوربية إقتصاديا في السوق الأوربية المشتركة، وعسكريا من خلال حلف الناتو، وثقافيا من خلال فعاليات وتبادل ثقافي لتكريس هويّة ثقافية أوربية، وتكامل زراعي وأقتصادي وجمركي ودراسي وعلمي وصحي وغيرها، وصولا الى إلغاء الحدود بين بلدانها وتتويج هذه البلدان تكاملها بإنشاء البرلمان الأوربي لأتخّاذ مواقف سياسيّة موحدّة لحدود بعيدة على الرغم من إختلافاتها القومية (لغة وعِرق) ومصالحها الوطنية، وتتويج كل هذا بعملة أوربية موحدة، ليست بعيدة عن توظيف الدين المسيحي كمصدر من مصادر الثقافة الأوربية تاريخيا، لكن بتحقيق شرط لا بدّ منه للإستمرار بهذا النهج من التطور والتكامل وهو، عدم ربط هذه النهوض القومي بالمسيحية كدين وهي دين الأغلبية بأي شكل من الأشكال. وبمعنى آخر قيام أنظمة علمانية ديموقراطية (على الأقل وبنسب مختلفة في بلدانها) تفصل كليّا بين الدين والدولة، أي وبمعنى آخر ومن جديد، إعلان طلاق سياستها البائن مع الدين. فهل خطت الفكرة والدولة القومية العربية خطوات كالتي قامت في اوربا، للوصول الى حلم الروّاد الأوائل لبناء وطن قومي واحد للعرب إعتمادا على عوامل الإشتراك باللغة والدين والتاريخ ....؟

لو تجاوزنا التأثيرات القومية العربية في العقود الأولى من القرن العشرين على الرغم من حضورها في بعض البلدان العربية كالعراق وبلاد الشام ومصر بعد تأسيس حزب الوفد (كان مصريا يبحث عن مصير مصر بعد الهدنة وليس قوميا بداية تأسيسه) وبداية تطورها في أربعينياته، نتيجة الهجرة اليهودية الكبيرة لفلسطين ووعد بإقامة وطن لهم على أراضيها وفق وعد بلفور عام 1917، فسنرى حضورا طاغيا لهذه التأثيرات والأفكار منذ بدايات العقد الخامس والتي كانت موجودة قبلها وبشكل كبير في أدبيات وسياسات الأحزاب اليسارية والشيوعية في البلدان العربية المشرقية. فقبل إعلان الدولة العبرية بسنة واحدة تأسس حزب البعث العربي الأشتراكي في سوريا سنة 1947 وحركة القوميين العرب بعد تأسيس دولة إسرائيل في الكويت سنة 1952، كما كانت هناك جمعيات ومنظمات عربية عديدة خصوصا في العراق وبلاد الشام تلهب حماس الشعوب العربية من أجل نضالها لنيل أستقلالها ودعم الفلسطينيين بمواجهة الهجرة الواسعة والأستيطان اليهودي في بلادهم.

بعد نجاح الضباط الأحرار في مصر من تغيير شكل الدولة من ملكية الى جمهورية في تموز/ يوليو 1952، كان من المفروض على الضباط الأحرار حملة الفكر القومي العربي والذي سيصبح ناصريّا بعدها ومن أجل بناء أسس صحيحة لبناء مشروع عربي قومي

مستقبلا، أن تتم مراجعة تاريخية وعلمية من قبلهم والمفكّرين العرب لكل التاريخ العربي منذ إنهيار آخر دولة عربية قومية أسلامية متمثّلة بالخلافة العبّاسية ولحين قيام دولة أسرائيل، بعد خسارة العرب أهم معركة فاصلة بينهم وبين الإسرائيليين سنة 1948 ، والتي كانت بداية سلسلة من الهزائم التي لم تنتهي لليوم، بل هي مرشّحة مستقبلا لهزائم جديدة قد لا تكون بالضرورة عسكرية.

لقد بلغت الأفكار والطموحات العربية أوجها بعد تولّي عبد الناصر السلطة في مصر، ومهدّت الثورة المصريّة في الوقت الذي كانت فيه شعوب عربية تناضل من أجل إستقلالها من المستعمرين الأوربيين، الطريق لضبّاط بلدان عربية أخرى بالحذو حذوهم في إستلام السلطة في بلدانهم عن طريق الجيش وإعلان بلدانهم بلدان قومية هدفها تحرير فلسطين، وهذا ما حدث في العراق وسوريا وليبيا واليمن والسودان، فلماذا لم تستطع قيادات هذه البلدان وأحزابها القومية الحاكمة من تحقيق شعاراتها، بل وبشكل أوضح لماذا فشلت في تحقيقها ولتصل أمور الشعوب العربية وأوطانها الى ما آلت اليه اليوم من خراب على مختلف الأصعدة ..؟

مثلما قلنا بداية من أنّ أوربا نجحت في تحقيق وحدتها بعد فصلها الدين عن السياسة والدولة في بلدانها، وأتخاذها للديموقراطية وسيلة لتبادل السلطة سلميا، مع تقدمّها العلمي نتيجة إيلائها أهتمام كبير بالتعليم وتطوّره. ويبدو أنّ مفكّريها وساستها راجعوا تاريخ قارّتهم التي ضجّت بالحروب الدينية وغيرها لقرون والتي تُوجّت بحربين عالميتين بما خلّفته من دمار، بعد أن كانت قارّتهم مسرحا رئيسيا لهما. ومن خلال ما نراه اليوم من تقدّم شعوب وبلدان هذه القارّة، نستطيع القول من أنّ مراجعة التاريخ هذه كانت الطريق الأمثل لوصول

الأوربيين الى قمّة الهرم الأقتصادي والعلمي والتجاري، متسلّحين بقوّة عسكرية ضخمة قادرة على الدفاع عن مصالحهم. ومثل هذه المراجعة التاريخية والسياسية غابت عن بال الساسة والمفكّرين العرب كليّا.

يُعد ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث العربي الأشتراكي أحد روّاد الفكر القومي العرب الحديث، الّا أنّه لم يستوعب التغيّرات السياسيّة والأقتصادية التي عصفت بالعالم بعد الثورة الصناعية، وبحث البلدان الرأسمالية عن أسواق لتصريف منتجاتها على ما يبدو، كما لم يستوعب بحث تلك البلدان عن المواد الخام التي تساهم في تعزيز صناعاتها. فنراه يترجم المصالح السياسية والأقتصادية الأوربية وعملها على إستعمار البلدان الأخرى كما البلدان العربية وغيرها من بلدان العالم الثالث بسذاجة واضحة، معتقدا من أنّ الصراع الأوربي العربي هو منافسة حضارية بين الإسلام (ممثّل بالأمّة العربية) حسب وصفه وأوربا فنراه يقول من "إنَّ المنافسة بسبب الدور الحضاري الذي جاء به الإسلام، وليس بسبب الموقع والثروات والمصالح"!! دون أن يسأل نفسه ولا مريديه وأتباعه عن الدور الحضاري الذي كان يلعبه الأسلام وقت كتابته مؤلّفه "في سبيل البعث"، ولليوم..؟ على الرغم من أنّ المفكرين القوميين العرب ومنهم عفلق قد وضعوا الدين الأسلامي في مركز مشروعهم القومي ، الّا أن الحكومات التي قامت على أفكارهم بشكل مباشر وغير مباشر حملت عداءا شديدا للأسلاميين وحركاتهم السياسية وقمعتهم بشدّة، من خلال منافسة الأسلاميين لهم على السلطة خصوصا في مصر وسوريا والعراق. وفي الحقيقة فأنّ قمع القوى القومية في البلدان المختلفة لم يقتصر على الأسلاميين فقط، بل كان القمع يطال جميع الحركات السياسية المناوئة لسلطاتهم، كالأحزاب الشيوعية واليسارية والقومية غير العربية، ومنها الأحزاب القومية الكوردية في العراق وسوريا.

وصلت القيادات القومية العربية أو تلك التي تبّنت الفكر القومي جميعها الى السلطة في بلدانها عن طريق الأنقلابات العسكرية دون أستثناء، كما في مصر وسوريا والعراق والسودان وليبيا واليمن. ولأنّها وصلت الى السلطة عن طريق العسكر، فأنّها كانت محاطة بولاءات وحماية العسكر والأجـــــهزة الأمنية القمعية لأستمرارها في الحكم. وقد كان تشبثّها بالسلطة وعدم أنتهاجها نهجا ديموقراطيا في الحكم وقمعها لحريّة الرأي والصحافة، وعدم فسح المجال أمام الأحزاب السياسية الأخرى في المشاركة بالقرار السياسي، وقمعها للأقليات الدينية والعرقية في بلدانها، سببا في تخلّف شعوبها وبلدانها، كما لعب الفساد دورامحوريا في تدمير البنى الأقتصادية والأجتماعية فيها. فالبلدان القومية العربية، لم تشهد في ظلّ الأنظمة القومية القمعية نهضة صناعية أو زراعية يعتدّ بها، والتعليم فيها كان ولا يزال بائسا على الأغلب مع تفشّي الأمية والبطالة والجوع، ما جعل شعوبهم في آخر سلّم التطور الحضاري للأنسانيّة. فمصر التي تغيب عنها الديموقراطية يتفشّى فيها الفقر الذي وصلت نسبته في العام الجاري 2024 وفق أرقام البنك الدولي الى 32.5%، كما وصلت البطالة فيه الى نسبة 6.7% وفق الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء في مصر. علما أنّ مصر هي الدولة العربية القومية الوحيدة من التي ذكرناها قبل قليل، من تلك التي لم تمزّقها الحروب والحروب الداخليّة بعد حرب عام 1973، عكس البلدان العربية الأخرى، فهل يعود هذا الى إبرامها معاهدة كمب ديفيد مع إسرائيل وأنهاء حالة الحرب بإستعادة سيناء وبناءها علاقات دبلوماسية معها!؟

أنّ فشل المشروع القومي العربي نراه من خلال تقسيم السودان الى دولتين والحرب الأهلية الدائرة فيه والتي أفقرت ومزّقت البلاد الضعيفة أصلا أقتصاديا، ونفس المشروع مزّق ليبيا التي لازالت تعاني من حرب أهليّة، ومثلهما اليمن. أمّا العراق وسوريا التي حكمهما البعث ذو الفكر القومي لعقود فنراه من خلال حروب البعث العراقي الداخلية والخارجية والتي دمّرت النسيج الأجتماعي للشعب العراقي بالفضاعات التي أرتكبها بحقّه طيلة فترة حكمه الكارثية، وتدمير البنى التحتية والقدرة العسكرية للبلاد، تلك التي توجّها المحتل الأمريكي بإقامة نظام سياسي محاصصاتي فاسد، على أنقاض النظام الديكتاتوري الفاشي البعثي. وكما العراق فأنّ حزب البعث السوري الذي أنهار قبل أيّام دمّر سوريا من خلال نفس النهج، بقمعه لحرية التعبير والرأي، ومعاداته للديموقراطية وعدم قبوله مشاركة الشعب في القرار السياسي، وقمعه للأقليات الأثنية والدينية بالبلاد.

لقد أهدرت النظم القومية ثروات شعوبها وطاقاتها نتيجة لصراعاتها الداخلية والخارجية، وعدم أنتهاج سياسة أقتصادية علمية في تطوير التعليم والصحّة والزراعة والصناعة. فالسجون والمعتقلات عهدهم أكثر عددا من مراكز الأبحاث العلمية والجامعات، كما أنّ خوفهم من شعوبهم دفعهم الى عسكرة مجتمعاتهم ودولهم، فتحوّل السلاح العراقي في النهاية الى خردة، والسلاح السوري الى كتل من الحديد نتيجة غارات أسرائيلية متلاحقة على كل المعسكرات والمطارات والموانيء ومراكز الأبحاث العسكرية، أمام صمت العالم وبقية الدول والأنظمة العربية.

لقد حوّل البعثيون بساديتهم وفاشيتهم البلدين الى سجن كبير، تُمتهن فيه كرامة الأنسان وتسحق فيه آدميته، وقد تاجر البعثيون بالقضية الفلسطينية لعقود، فلا الفلسطينيون حصلوا على شيء من هذا الدعم، ولا شعوبهم التي أغرقوها بالقمع ومصادرة الحريّات. وفي النهاية كانت هزيمتهم وهي هزيمة للفكر القومي العربي الشمولي بإعتبارهما آخر نظامين قوميين عربيين، هزيمة لشعوبهم وهزيمة للمشروع القومي العربي أمام المشروع الأسلامي الذي يهيمن اليوم على الساحة السياسية في جميع البلدان القومية السابقة. لكن علينا الأنتباه من أنّ فشل المشروع القومي العربي لا يعني مطلقا نجاح المشروع الأسلامي، فالمشروعين غير قادرين على مواكبة التغيرات السياسية بالعالم، ولا التطورات والطفرات العلمية والتكنولوجية المتسارعة من قبل العالم الغربي. ومثلما فشل المشروع القومي العربي في تلبية حاجات الشعوب العربية للعيش بكرامة بإستغلال الحكومات لثرواتهم (بلدانهم) وتقدّمها، فأنّ المشروع الأسلامي الماضوي غير قادر هو الآخر على تغيير نهج من سبقهم من القوميين.

أنّ ما يقارب الخمسة عقود من حكم نظم قوميّة عربية في عدد غير قليل من البلدان العربية، دون نظام نقدي وعملة مشتركة، ودون تكامل أقتصادي وتبادل تجاري حر، ودون أتّخاذ سياسات مشتركة حيال القضايا العقدية ولو بالحدّ الأدنى، ناهيك عن المؤامرات والدسائس فيما بينها لزعزعة الأمن الداخلي كما حدث من محاولات إنقلابات وإغتيالات ودعم لمنظمات شبه عسكرية ضد أخرى بمشاركة قوى أستخباراتية، جعلت وغيرها من الأسباب التي تطرّقنا اليه سابقا، من مشروع القوميين العرب والبعثيين في بناء دول قوميّة شبه ميّت، إن لم يكن وفي ذروة التحوّلات الجيوسياسية في المنطقة والعالم ميتا بالفعل.

البقية ص التالية

صحيفة هندية: مأساة الشرق الاوسط بدأت منذ غزو العراق أميركا و"إسرائيل"

أكد تقرير لصحيفة تايمز اوف انديا، في ديسمبر 2024، ان الاحداث المؤلمة التي تظهر الان في منطقة الشرق الاوسط لم تكن وليدة اللحظة بل بدأت منذ ان قرر الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش في عام 2003 غزو العراق.

وذكر التقرير، ان "الهجوم على العراق في العام 2003 كان بمثابة بداية لأسوأ اضطرابات في الشرق الأوسط والتي أسفرت عن حروب أهلية بالعراق ولبنان وسوريا مما تسبب بمقتل ونزوح الملايين، ولا تزال هذه الاضطرابات مستمرة في التسبب بمقتل وتشريد ومعاناة الملايين".

واضاف ان "الولايات المتحدة وحلفائها تسببت في إنهاك روسيا بحرب اوكرانيا واشغال إيران في حروب غزة ولبنان، مما تسبب بانهيار النظام السوري سريعا من قبل الجماعات الارهابية المدعومة من تركيا والولايات المتحدة".

وتابع التقرير، ان "دول الغرب وامريكا استخدمت الحرب في اوكرانيا لإضعاف روسيا دون التورط بشكل مباشر في الحرب"، مبينا أن "المستفيدين الوحيدين من كل هذه الاضطرابات هم الولايات المتحدة والدول الغربية وإسرائيل".

"مستفيدتان من الاضطرابات"

وأشار الى، انه "وبسبب إضعاف روسيا، ستكسب الصين في إفريقيا وأمريكا الجنوبية، و لن يكون من المستغرب أن تحاول الصين مرة أخرى السيطرة على أراضيها التي احتلتها روسيا خلال الحرب العالمية الثانية، كما إن هزيمة روسيا في أوكرانيا قد تؤدي إلى زيادة نفوذ الدول الأعضاء في حلف شمال الأطلسي في أوروبا وربما في الشرق الأوسط ايضا".

ولفت التقرير الى ان "من المرجح أن تحل الصين محل روسيا كقوة عظمى قريبًا مما يشير الى حجم التداعيات التي تسببت بها ازمة الشرق الاوسط على الاوضاع وتداعيات ذلك في العالم الاوسع".

"الملك تشارلز الثالث"

البروفيسور العراقي (السير) بشير محمد الهاشمي، نائب رئيس جامعة (King's College London)للأبحاث والابتكار، يحصل على لقب (فارس)، وذلك لخدماته في مجال الهندسة والتعليم، الذي مُنح لهُ ضمن قائمة الحاصلين على مرتبة الشرف للعام الجديد 2025، في حفل تكريم سيُقيمهُ جلالة ملك المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وأيرلندا الشمالية تشارلز الثالث .

وذلك لمساهماته البحثية المهمة والمستدامة على مدى 30 عامًا في مجال الحوسبة الموفرة للطاقة وتصميم شرائح أشباه الموصلات وتنفيذها عمليًا، وقد أدى بحثه الأخير إلى تقدمٍ كبير في تقنيات الأجهزة الإلكترونية الرقميّة وبرامجها، بما في ذلك الهواتف الذكية. وقد فاز البحث بالعديد من

يكرم عددا من العراقيين في قائمة شرف 2025

الجوائز الوطنية والدولية، وكان آخرها جائزة معهد الهندسة والتكنولوجيا المرموقة (ميدالية فاراداي) في عام 2020 .

شغل البروفيسور الهاشمي (المولود في بغداد عام 1961)، على مدار حياته المهنية، العديد من المناصب القيادية الأكاديمية العليا في قطاع التعليم العالي في المملكة المتحدة، وحاز على وسام الإمبراطورية البريطانية عام 2018، وعلى زمالة الأكاديمية الملكية للهندسة عام 2023، وحصل على الدكتوراه في هندسة الإلكترونيات من جامعة يورك والماجستير في هندسة الإلكترونيات من جامعة كارديف والبكالوريوس في الهندسة الكهربائية والإلكترونية جامعة باث في المملكة المتحدة.

إنهيار المشروع القومي العربي

لم تكن القوى القومية العربية والبعثيين وحدهم من بين الأنظمة العربية سبب ما آل اليه الوضع العربي من أنحطاط سياسي وأقتصادي وأجتماعي وفكري، فالدول الرجعية النفطية ذات العلاقة الوطيدة بأمريكا والعالم الغربي وأسرائيل بشكل علني لاحقا

والمتخمة بأموال النفط والغاز لعبت دورا كبيرا في إجهاض أي حركة تنشد التغيير، من خلال دعمها اللامحدود للتيارات الأسلامية الأرهابية صنيعة الغرب كالقاعدة وجبهة النصرة وداعش وغيرها من التنظيمات السلفية الأرهابيّة المسلّحة.

اليوم وبعد الدمار الهائل الذي حلّ بسوريا وغزّة ولبنان، ومعاناة ليبيا واليمن والسودان والعراق من خطر المنظمّات الأرهابية وفساد حكوماتها وتدخل الدول الأقليمية والدولية في شؤونها الداخليّة كتركيا وإيران وغيرها، يبرز المشروع العبري والذي هو بالحقيقة مشروع أمريكي غربي مدعوم خليجيا بقوّة كلاعب أساسي في المنطقة. فإسرائيل التي تملك علاقات دبلوماسية مع العديد من الدول العربية، وقوّة عسكرية مدعومة من قبل الولايات المتحدة والعالم الغربي، وتكنولوجيا متقدّمة، وحضورها الفعّال في العديد من البلدان العربية ومنها الخليجية، لا تحتاج الى وقت طويل حتى ترى أعلامها ترفرف فوق مباني سفاراتها في جميع العواصم العربية، ولينتهي وقتها الحلم العربي بعد أن حوّله القوميون والبعثيون والأسلاميون والمال البدوي الى كابوس.

بعد فشل الأنظمة القومية العربية والإسلامية في بناء دول عصرية، فأننا اليوم بحاجة الى دول ذات أنظمة علمانيّة ديموقراطية، تحترم شعوبها وتشركها في القرار السياسي. أنظمة تؤمن بالتداول السلمي للسلطة، وتستغل ثروات بلادها في توفير حياة كريمة لمواطنيها، وتحترم الدين وطقوسه على أن لا تتدخل المؤسسات الدينية في الشأن السياسي بالمطلق، خصوصا وأنّ الدين الإسلامي محل خصام بين المسلمين السنّة والشيعة، بل وبين أبناء المذهب الواحد أيضا منذ سقيفة بني ساعدة ولليوم.

***

خطا الاعتماد على مؤشر اتش في الترقيات العلمية في الجامعات العراقية

أ.د. محمد الربيعي

يستخدم مؤشر اتش (H-index) على نطاق واسع كأحد المقاييس لتقييم اداء الباحثين وانتاجيتهم وتاثيرهم في مجالهم، ويعتبر مؤشرا سهلا ومباشرا نسبيا. فهو يعكس العلاقة بين عدد الابحاث المنشورة وعدد الاقتباسات التي حصلت عليها. ومع ذلك، فان الاعتماد المطلق عليه كمعيار اساسي للترقيات العلمية في الجامعات العراقية، في ظل الظروف الحالية، يعتبر خطا منهجيا وله اثار سلبية عديدة. ومن هذه الآثار السلبية أنه لا يجوز مقارنة باحثين في مجالات بحثية مختلفة اعتمادا على مؤشر اتش وحده، نظرا لاختلاف طبيعة هذه المجالات من حيث معدل النشر وعدد الاقتباسات. فبعض المجالات تشهد نشرا غزيرا واقتباسات متزايدة، بينما يشهد البعض الآخر نشرا أقل واقتباسات محدودة . كما أن مؤشر اتش لا يأخذ في الاعتبار جودة الاقتباسات، حيث يحتسب الاقتباس السلبي كأي اقتباس آخر، مما قد يعطي صورة غير دقيقة عن تأثير البحث. بالاضافة الى ذلك، هناك امكانية للتلاعب بالمؤشر من خلال الاقتباس الذاتي او الاقتباس المتبادل بين مجموعة من الباحثين، مما يقلل من مصداقيته كمعيار تقييم موضوعي. لذا، عند تقييم الباحثين، يجب مراعاة طبيعة المجال البحثي وعدم إجراء مقارنات مجحفة بين مجالات مختلفة.

المشكلة الاساسية: غياب البيئة الداعمة للبحث العلمي الاصيل

يكمن جوهر المشكلة في ان استخدام مؤشر اتش كمعيار للترقية يتطلب وجود بيئة بحثية صحية وسليمة، وهو ما تفتقر اليه الجامعات العراقية بشكل عام. من ابرز جوانب هذا الخلل:

- نقص التمويل المخصص للبحث العلمي: يعتبر التمويل حجر الزاوية في اجراء البحوث العلمية الاصيلة. فبدون ميزانية كافية، يصعب على الباحثين اجراء تجارب مختبرية، وشراء مواد، وحضور مؤتمرات، ونشر ابحاثهم في مجلات مرموقة (التي تتطلب رسوم نشر). هذا النقص يدفع البعض الى البحث عن بدائل غير اخلاقية.

- انتشار "مصانع الاوراق" وشراء الابحاث: في ظل غياب التمويل وضغوط النشر للترقية، يلجا بعض التدريسيين الى شراء ابحاث جاهزة من "مصانع الاوراق" او دفع مبالغ مالية لادراج اسمائهم كمؤلفين في ابحاث مفترسة. هذه الممارسات تشوه العملية البحثية وتفرغ مؤشر اتش من معناه الحقيقي، حيث يصبح مجرد رقم لا يعكس اي جهد او اسهام علمي حقيقي.

- شراء الاقتباسات: بالاضافة الى شراء الابحاث، يلجا البعض الى شراء الاقتباسات لابحاثهم المنشورة، ما يضخم مؤشر اتش بشكل مصطنع. هذه الممارسة تعد نوعا من الاحتيال الاكاديمي وتقلل من مصداقية التقييم العلمي.

- التركيز الكمي على حساب الجودة: بسبب التركيز على مؤشر اتش، قد يركز الباحثون على نشر اكبر عدد ممكن من الابحاث بغض النظر عن جودتها او اهميتها العلمية. هذا يؤدي الى تدهور جودة البحث العلمي بشكل عام.

لماذا يعتبر هذا خطا في السياق العراقي؟

في البيئات البحثية المتطورة، يعتبر مؤشر اتش مؤشرا من بين مؤشرات اخرى تستخدم لتقييم الباحث. ولكن في السياق العراقي، حيث توجد هذه المشاكل الهيكلية، يصبح الاعتماد المطلق عليه مضللا وغير عادل. فهو يكافئ من يمتلك القدرة المالية على شراء الابحاث والاقتباسات، بدلا من مكافاة الباحثين المخلصين الذين يجرون بحوثا اصيلة في ظل ظروف صعبة.

الحلول المقترحة:

لتجاوز هذه المشكلة، لا بد من اتخاذ اجراءات شاملة، منها:

1 ـ تطوير معايير تقييم بديلة: يجب تطوير معايير تقييم شاملة تركز على جودة البحث واصالته وتاثيره الحقيقي، بدلا من التركيز الكمي على عدد المنشورات والاقتباسات. يجب ان تشمل هذه المعايير:

- تقييم الاقران (Peer Review) من قبل باحثين متخصصين.

- اهمية البحث واثره في حل مشاكل المجتمع.
- المساهمة في تطوير المعرفة في مجال التخصص.
- المشاركة في المؤتمرات والندوات العلمية.

2- تتم المقارنة بين باحثين يعملون في نفس المجال أو مجالات متقاربة، وليس بين مجالات لها مؤشر اتش عالي كالعلوم الطبية والصحية وعلوم الكيمياء والفيزياء والاحياء والهندسة وعلوم الحاسوب التطبيقية، ومجالات لها مؤشر اتش منخفض كالعلوم الاجتماعية والانسانيات والفنون واللغات وعلوم الارض وبعض فروع العلوم الزراعية وعلوم الرياضيات والحاسوب النظرية.

2 ـ زيادة التمويل المخصص للبحث العلمي: يجب على الجامعات والحكومة زيادة الميزانية المخصصة للبحث العلمي، وتوفير منح بحثية للباحثين.

3 ـ تشديد الرقابة على المجلات العلمية: يجب وضع معايير صارمة لاعتماد المجلات العلمية، ومكافحة المجلات المفترسة.

4 ـ نشر ثقافة النزاهة الاكاديمية: يجب على الجامعات تعزيز ثقافة النزاهة الاكاديمية ومكافحة الممارسات غير الاخلاقية في البحث العلمي.

باختصار، مؤشر اتش اداة مفيدة في ظروف معينة، ولكن استخدامه كمعيار للترقية في الجامعات العراقية يعتبر خطا فادحا في ظل الظروف الحالية. يجب معالجة المشاكل الهيكلية في البيئة البحثية وتطوير معايير تقييم شاملة لضمان عدالة وشفافية الترقيات العلمية وتشجيع البحث العلمي الاصيل.

آراء حرة

لماذا مدّدت واشنطن العقوبات على دمشق ؟

د. عبد الحسين شعبان [2]

"بعد فرار الرئيس السوري بشار الأسد بأربعة أيام، وبتاريخ 12 كانون الأول / ديسمبر 2024، مدّدت الولايات المتحدة عقوباتها الاقتصادية على سوريا لمدة خمس سنوات جديدة ضمن ما يُعرف بقانون قيصر، الذي شرّعه الكونغرس في العام 2019 بزعم حماية المدنيين من الأعمال الوحشية التي يرتكبها النظام، وهذا يعني أن العقوبات ستبقى مفروضة على سوريا، وهو ما كشفته وثيقة أمريكية رسمية، حيث تم شطب التاريخ الذي هو 5 سنوات بعد سريان مفعول هذا القانون، ليصبح التاريخ الجديد 31 كانون الأول / ديسمبر 2029."

وعلى الرغم من أن الرئيس المنتهية ولايته، جو بايدن، أعلن مؤخرًا تخفيف بعض القيود على سوريا لوصول المساعدات الإنسانية إليها، إلّا أن العقوبات تبقى سارية المفعول حتى بعد التغيير الذي حصل، وبداية نظام جديد أُقيم على أنقاض النظام السابق، فما هي مبررات واشنطن لاستمرار العقوبات؟

الجدير بالذكر أن نظام العقوبات، سواء كان جزئيًا أم كليًا، يثير إشكالات منهاجية ببعدها القانوني النظري أو الإنساني العملاني، وتتضمّن الكثير من جوانب التعقيد المرتبطة بدور القوى المتنفذة في العلاقات الدولية، ومحاولاتها التسيّد وفرض الهيمنة من جهة، ومن جهة أخرى أن تأثير العقوبات يقع على الشعب، حتى وإن ترك تأثيره على الحكام، الأمر الذي يتحوّل بطول المدّة وقسوة الأوضاع المعاشية إلى نوع من أنواع «الإبادة الجماعية»، سواء كانت هذه العقوبات مفروضة من جانب الدول الكبرى، أو من جانب مجلس الأمن الدولي، حيث تبقى سيفًا مسلطًا على رقاب الناس، الذين يتعرّضون إلى التجويع ومحق الكرامة الإنسانية.

قانون قيصر

لا يقتصر قانون قيصر على الحكومة أو النظام السوري السابق، بل أنه يتعرّض لسوريا كدولة وشعب. فالعقوبات التي يفرضها القانون لها أبعادها السياسية، والدليل أن النظام والحكومة زالتا، أمّا العقوبات فهي مستمرّة ولم تُلغَ أو يُعاد النظر فيها، لاسيّما تبعاتها الاقتصادية والمالية والقانونية والاجتماعية والتربوية والنفسية والإنسانية، بما فيها جرح سيادة سوريا وتعويمها، حيث تركت العقوبات تأثيرها الكبير على الشعب السوري، وازداد الفقراء فقرًا، أمّا أركان السلطة والمتنعمين بامتيازاتها، فقد ازدادوا غنًى، خصوصًا في ظلّ الفساد الذي استشرى في البلاد على نحو سريع، وإنتاج المخدرات وتسويقها، وهو ما أظهرته شاشات التلفاز من وجود معامل للكبتاغون بإدارة النظام وإشرافه، ناهيك عن سياسات التسلّط والعسف والعنف والإرهاب، خصوصًا باستمرار النزاع المسلّح منذ العام 2011.

تساؤلات مشروعة

لعلّ التساؤل المشروع الذي يواجه الباحث المعني بعلاقة واشنطن بمشكلات الشرق الأوسط ومنها مستقبل سوريا بما فيه القضية الفلسطينية، هو ماذا تريد الولايات المتحدة من سوريا بعد تغيير النظام السابق؟ فهل كانت واشنطن تستهدف نظام بشار الأسد أم سوريا؟ وهو التساؤل ذاته، الذي ظلّ يتردّد لنحو 12 عامًا في العديد من الأوساط بخصوص العقوبات ضدّ العراق، تلك التي استمرّت الولايات المتحدة بفرضها بالضغط على مجلس الأمن، ناهيك عن تمديدها حتى بعد الإطاحة بنظام صدّام حسين، وما تزال تأثيراتها باقية إلى اليوم.

فعلى الرغم من أن واشنطن تعتبر بغداد حليفة سياسية لها، وهو كثير ما تردّده الأخيرة، ضمن «اتفاقية الإطار الاستراتيجي»، إلّا أن واشنطن من الناحية الفعلية تفرض شروطًا على حليفتها، حيث ما تزال متحكمة بالنفط العراقي، الذي تودع أثمانه في البنك الفيدرالي الأمريكي، وهذا الأخير يتحكّم بتحويل بعضها إلى الحكومة العراقية، الأمر الذي يُعطي واشنطن وصاية عليها، ناهيك عن ممارسة ضغوطها بالشكل الذي يؤمن مصالحها ومصالح حلفائها في المنطقة.

العقوبات والتنمية

وإذا كانت واشنطن تستهدف نظام الأسد، فقد انتهى هذا النظام، فلماذا تُجدد نظام العقوبات على الشعب السوري؟ ومثل هذا التساؤل يحتاج إلى حوار جاد ومسؤول، ليس على الصعيد السوري فحسب، بل على الصعيد العربي، حيث كان البعض متحمسًا لنظام العقوبات ضدّ سوريا بزعم الإطاحة بالأسد، ومن المفيد أن يكون هذا الحوار مشرقيًا، فقد مارست واشنطن الحصار على عدد من الدول النامية، مثلما تمارسه اليوم ضدّ الصين وروسيا وغيرها، تحت عناوين مختلفة.

وبالنسبة لسوريا، فإن فرض العقوبات مجددًا عليها في ظلّ النظام الجديد، بغضّ النظر عن توجّهاته، سيؤدي إلى عرقلة تحقيق التنمية المنشودة، مع المساعي المحمومة للخصخصة والترويج لاقتصاد السوق وأفضليات النظام الليبرالي، وذلك لإنهاء دور القطاع العام، تحت يافطة فشله وارتباطه بالنظام السابق.

طريق التقسيم

قد يكون استمرار نظام العقوبات على سوريا هو جزء من استراتيجية أمريكية وإسرائيلية بعيدة المدى، تستهدف تفتيت سوريا على أمل تقسيمها وفقًا لمشروع برنارد لويس، الذي أقرّه الكونغرس الأمريكي بجلسة سرية في العام 1983، خصوصًا بتعطيل تنميتها، لاسيّما في ظل عدم اكتمال بنية النظام الجديد، والفوضى العارمة التي تشهدها البلاد، وحتى الآن فإن وحدة البلاد مهددة، ولا توجد تطمينات بخصوص حقوق الكرد، والسلم المجتمعي في خطر حقيقي والجيش مفكّك والقدرات العسكرية مدمّرة والتغوّل الإسرائيلي مستمرّ، بل يتمدّد، ليس بالتمسّك بهضبة الجولان فحسب، وإنما عينه على دمشق بعد احتلاله لجبل الشيخ ونحو 25 كم داخل الأراضي السورية.

مهمات كبيرة وعاجلة

إذا كانت مهمة إنهاء نظام العقوبات من المهمات الكبيرة والخطيرة التي تواجه سوريا، فإنها ليست الوحيدة، بل ثمة مهمة عاجلة، وهي منع الانفلات الأمني وتحقيق الانفراج السياسي الحقيقي، ووضع آليات جديدة لحوار وطني شامل دون إقصاء أو تمييز، بالاستناد إلى تعددية المجتمع السوري

تتمة ص التالية

التطورات الجارية في العراق والمنطقة

فخري كريم

كتب الاستاذ فخري كريم رئيس مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون تعليقا حول ((التطورات الجارية في العراق والمنطقة)) ، ننشر نصه كاملاً:

السيد عمار الحكيم يلامس بتوضيحاتٍ لافتة، القضايا العقدية التي تعتبرها بعض أوساط الإطار التنسيقي "مقدسات". ومثل هذا الموقف، خطوة مهمة في الاتجاه الصحيح المنتظر .

وأهم ما يلفت النظر في إضاءات السيد، توقفه لأول مرة حول ما يقال عن الميليشيات وتوصيفها كـ "أذرع ايرانية" منفّرة شعبياً وسلاحها المنفلت الْمُسْتَفَزّ، وتأكيده على أنها بحاجة إلى معالجة .

لكن السيد استثنى بأسلوب الاستدراك، الحشد الشعبي باعتباره جزءاً من القوات المسلحة النظامية، مع أنه في واقع الحال، كيان "عقائدي" مستقل ومنظومة عسكرية تكاد توازي الجيش النظامي، بل تتفوق عليه في جوانب تسليحية ومالية وتعيينيّة. وتنفرد كلما اقتضى الأمر بقرارات قد لا تنسجم، وتعاكس سياسات الدولة. ويكفي أنها تضم في قوامها ميليشيات تحتفظ لنفسها بكيانٍ مستقل، وتعتمد في رواتب منتسبيها وتسليحهم ومقراتهم والياتها وهوياتها على ميزانية الدولة! وهو الآخر يتطلب التوجه بدمجه بصيغة تجعل منه جزءاً لا يتجزأ بالفعل من الجيش والقوات المسلحة فعلياً، مع إدامة تميزها بكل ما يجعل منها قوة دفاع عن سيادة البلاد واستقلاله الوطني .

كما نفى السيد ما يتردد من استهداف للإطار وزعمائه من قبل جهات دولية، مختزلاً الاستهداف " لنشاطات اقتصادية "لبعض فصائله !

سماحة السيد عمار، ما تناولته في حوارك، دلالة على قلقك واهتمامك بما يهدد المنظومة السياسية القائمة. ومن موقع التفاعل، أتطلع إلى تجذير رؤياك للتأكد على أن النظام السياسي القائم وفقاً للدستور "رغم اختلالاته" جرى اختطافه من جماعة الإطار وتشويهه، واختزاله إلى حكم الأقلية المنفّرة التي لا تمثل سوى أقلية سياسية فضحتها نتائج الانتخابات الأخيرة، وعجز أطرافها عن إكمال العدد المطلوب لما سُمي بالثلث المعطل. ولولا ما قام به السيد مقتدى من "منحة " ملفتة، غير مفهومة ولا مبررة، لما استطاع الإطار بكل أركانه - كما تأكد في الواقع - من عدم إكمال حتى العدد المطلوب لـ " البدعة المفبركة " المستوردة من لبنان !

وهذا وحده يكفي للدلالة على أن المنظومة القائمة، وأن وجدت لها في تصويت البرلمان "الغطاء القانوني " المشكوك بمصداقيته، فأنها فاقدة الشرعية شعبياً .

وعلى من يحرص على تدارك المخاطر المحدِقة بالبلاد وتجنيب العراقيين نتائجها ومصائبها، وافترض أن السيد من بين الأكثر ادراكاً، لما يعنيه ذلك ، بحكم علاقاته ومتابعته، ان يقر بأن العراق على مفترق طرق: اما تعمية المهيمنين على وجهة الإطار ومصائر البلاد بالتشبث والإبقاء على الحال الميؤوس منه كما هو عليه، والتمسك بالأذرع المسلحة والميليشيات المنفلتة، التي جُعل منها قوة لترويع العراقيين، وأداة تكريسٍ لهيمنتها غير المشروعة وقوة حمايةٍ لمصالحها و "ليس لتحرير القدس والدفاع عن المقدسات".. أو انتظار انبعاث الامل بنهوض جماهيري غاضب معزز بتجربة انتفاضة تشرين المعمدة بدماء شهدائها وضحاياها. وهو آتٍ لا ريب فيه، ان لم تتعظ من تمادت في عبثها بإرادة شعبنا .

أن العراق ليس سورية. والنموذج السوري لا يصلح للعراق. لأن شعبنا يريد تغييراً وطنيا ديمقراطياً بنيوياً يستعيد به وطناً طال انتظار غيبته، بإرادته وبوسائله النضالية السلمية، يحرر إرادته المستباحة، لا بدفعه إلى المجهول بأي تدخلٍ خارجي يهدد وجوده، وينتهك حرماته، ويضيع مستقبله في متاهات الفوضى، أياً كانت مسمياتها !

وأي اعتقاد بسوى ذلك، هو مجرد أضغاث أحلام !

لماذا مدّدت واشنطن العقوبات على دمشق ؟

وتنوّع فئاته دينيًا وقوميًا ولغويًا وسلاليًا وغيرها، وكل ذلك يحتاج إلى استقرار سياسي لتدوير عجلة الاقتصاد وتحسين أوضاع الناس المعاشية.

عدالة انتقالية

لا بدّ من وضع خطوات تدرّجية لتطبيق عدالة انتقالية دون انتقام أو ثأر أو كيدية أو إثارة ضغائن وأحقاد قد تسبب بردود أفعال لا تُحمد عقباها، ولا سمح الله أن تؤدي إلى تحويل سوريا إلى بؤرة صراع مستدامة. والعدالة الانتقالية تتطلّب كشفًا للحقيقة ومساءلةً وجبرًا للضرر لإبقاء الذاكرة حيّة ويقظة، لاسيّما بإطلاق أسماء الضحايا على مدارس وساحات وشوارع ومكتبات ومرافق عامة، إضافة إلى تعويضهم أو تعويض عوائلهم في حالة مفارقتهم الحياة، ماديًا ومعنويًا، وإصلاح الأنظمة القانونية والقضائية وأجهزة إنفاذ القانون، وصولًا إلى مصالحة وطنية شاملة.

ولعلّ الباحث يتوصّل إلى استنتاج مفاده أن واشنطن لا تريد إنهاء نظام العقوبات على سوريا، دون الحصول على مكاسب سياسية، حتى وإن كانت من حليفتها اسطنبول، وعلى الرغم من أن تركيا عضوًا فاعلًا وكبيرًا في حلف الناتو، إلّا أن ذلك لا يمنع من ابتزازات واشنطن ومعها بعض الدول الغربية، التي لا تريد رفع العقوبات دون ثمن تقبضه، بما يتناسب مع مواقفها من سوريا، سواءً قبل هروب الرئيس الأسد أو بعد أن أصبح لتركيا اليد الطولى مع الحكم الجديد في سوريا، خصوصًا بتلاشي الدور الإيراني وضعف الدور الروسي.

غزة تتضور جوعا.. لتتوقف جرائم الإبادة الجماعية

" قطاع غزة يتضور جوعا. لا توجد قطرة واحدة من حليب الثدي لـ 186 طفلاً يولدون كل يوم. 90% من أطفال غزة يتناولون وجبة واحدة أو أقل من وجبة واحدة في اليوم. لا يوجد تخدير ولا مستشفيات يمكن للأمهات الحوامل المستضعفات الولادة فيها لأن مستشفى الولادة قد دمر... "

" حرب إسرائيل على غزة ".. إلى أين تفضي؟ وهل سيتحقق وقف نزيف الدم في فلسطين

نشرت العديد من وسائل الإعلام من أن إسرائيل تواصل هجومها مع تزايد الآمال في التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار في غزة. إذ قال متحدث من حماس بإن محادثات وقف إطلاق النار في غزة تقدم بشكل جيد، وفقًا لبيان صدر بعد اجتماع مع أمير قطر. ومع استمرار مفاوضات وقف إطلاق النار، يعبر سكان غزة وفقًا للاخبار المتواردة من على ارض الواقع عن "مزيج من التفاؤل والتشكك العميق". ومن جهة ثانية، تدعو عائلات الأسرى الإسرائيليين وسائل الإعلام والسياسيين إلى الامتناع عن الإضرار بمحادثات التهدئة. فيما أصدر منتدى الأسرى والمفقودين بيانًا، حث فيه "وسائل الإعلام وأعضاء الكنيست وقادة الرأي العام على الامتناع عن الإدلاء بتصريحات من شأنها الإضرار بالمفاوضات". وأضاف البيان "إننا نتابع بيقظة وترقب وقلق المنشورات الإعلامية المختلفة بشأن اتفاق عودة أحبائنا". إلى ذلك جدد المنتدى مطالبته "باتفاق شامل" يضمن عودة جميع الأسرى حتى آخرهم - الأحياء لإعادة التأهيل والأموات لدفن لائق في أماكنهم".

وفيما يتسع الدعم لوقف إطلاق النار في غزة بشكل واسع النطاق في إسرائيل: أعرب السفير الأمريكي لدى إسرائيل جاك لو وهو أحدث مسؤول رفيع المستوى عن تفاؤله نجاح اتفاق وقف إطلاق النار.

وفي حديث له في إذاعة الجيش الإسرائيلي، قال، هناك "دعما واسع النطاق" في إسرائيل للاتفاق وأن نتنياهو، على الرغم من بعض المقاومة من جانب ائتلافه الحكومي، يعتقد أنه يستطيع دفعه إلى الأمام.

وقال: الاتفاق ان تحقق، سيتم تنفيذه على مراحل. مشيرا في المرحلة الأولى، سيتم إطلاق سراح مجموعة من الأسرى الإسرائيليين والسجناء الفلسطينيين، تليها محادثات بشأن إطلاق سراح أسرى إضافيين.

" تفاؤل حذر لوقف القتل والدمار فى غزة "

وفي تقارير اخبارية حديثة متواصلة نشرتها العديد من وسائل الإعلام، صرح الرئيس الأمريكي القادم دونالد ترامب: من إن اتفاق وقف إطلاق النار في غزة قد يكتمل بحلول "نهاية الأسبوع" من بعد ممارسة أعماله في البيت الأبيض. وفي مقابلة هاتفية مع شبكة نيوزماكس الأمريكية قال، إن اتفاق وقف إطلاق النار في غزة قريب جدا ويمكن تحقيقه بحلول نهاية هذا الأسبوع. وفي مقطع مع برنامج روب شميت تونايت على الشبكة، قال عندما سئل عن المفاوضات المستمرة: "نحن قريبون جدا من إنجازه". وعليهم إنجازه، وإذا لم يتمكنوا من إنجازه، فسيكون هناك الكثير من المتاعب "من لم يروا من قبل". وأضاف ترامب: "أفهم أنه كانت هناك مصاعب لكنهم يجب أن ينتهون منها، ربما بحلول نهاية الأسبوع".

في غضون ذلك دوت في دير البلح انفجارات عنيفة طوال الليل 14 يناير. ودمرت الهجمات احد المنازل واستهدفت مقهى في الجزء الغربي من المدينة. وتم تأكيد مقتل ثمانية مدنيين على الأقل. كما تكثفت الهجمات في مدينة خان يونس، حيث أفاد شهود عيان بتدمير منزل آخر. وقتلت امرأة وأطفال في الهجوم، وفقًا لتقارير طبية. وتؤكد المصادر الصحفية في شمال غزة أن نطاق العمليات العسكرية يتكثف هناك في كل دقيقة. ويعبر سكان غزة عن مزيج من التفاؤل والتشكك العميق في تقدم مفاوضات وقف إطلاق النار وإنهاء ما تحملوا من الحرب المتواصلة لأكثر من 15 شهرا.. وفيما الجميع حريصون، الا انهم يراقبون التطورات عن كثب.

وفي مخيم بلاطة للاجئين شرق نابلس بالضفة الغربية المحتلة، قامت بحسب "وفا" الفلسطينية للأنباء،قوات الاحتلال الإسرائيلي بمداهمة السكان. وأفادت الوكالة بأن قوات الاحتلال نشرت قناصة على أسطح المنازل وفتشتها ونفذت تحقيقات ميدانية واعتقلت 13 مواطنا.

وأفادت مصادر طبية فجر يوم الاثنين 13 يناير أن 70 فلسطينيا قتلوا في غارات إسرائيلية منفصلة على قطاع غزة . فيما أفاد في وقت سابق مراسل احدى الفضائيات من أن ثمانية فلسطينيين قتلوا وأصيب أكثر من 30 آخرين في سلسلة هجمات إسرائيلية استهدفت منطقة سكنية في شارع الجلاء وسط مدينة غزة.

إبصار في قضية

التغيير القادم... شكوك ومخاوف!

احسان جواد كاظم

تطورات الأحداث في الشرق الأوسط بعد 7 أكتوبر 2023 في غزة ومن ثمة الضربات الموجعة لحزب الله في لبنان والسقوط المدوي لنظام البعث في سوريا, غير مأسوف عليه, و هروب رئيسه, وتهشم " وحدة الساحات " وتشرذم " محور المقاومة "رسمت خارطة جديدة للمنطقة وتوازنات القوى فيها ووجهة الصراعات القادمة.

حيث نشهد إنكفاء دراماتيكي لدور جمهورية ايران الاسلامية بعد تصفية أبرز حلفائها من قوى المقاومة والممانعة, سوريا وحزب الله اللبناني, والدهشة من تخليها, كطرف قائد, عن نجدة أخلص حلفائها والدفاع عنهم, و خيبة الأمل بعيون اتباعها و انثلام مصداقيتها لديهم... ثم صعود نجم الكيان المحتل بكل غطرسته وعدوانيته وهمجيته لفرض أجندته وإعادة الإعتبار لجيشه في المنطقة.

هل ستأتي الأحداث بالسلام والهدوء للمنطقة؟

يمكن الجزم باستحالة ذلك, وإنما العكس, لأن طبيعة القوى البديلة التي سيطرت على الوضع ليست بأفضل من سابقاتها أن لم تكن أسوأ... فالبديل للدكتاتور العلماني في سوريا, تنظيم سلفي إرهابي وحشي مدان ويعرفه القاصي والداني. وتراجع نفوذ دولة ايران الاسلامية, بكل تجلياته العسكرية والفكرية الطائفية والاقتصادية, لصالح هيمنة عسكرية إسرائيلية غاشمة ونهج فكري اقصائي أداته الصهيونية ومبدئه يهودية الدولة ونقاء عنصرها مدعمة بالإبادة الجماعية والتطهير العرقي والتهجير الجماعي واستعمار الأرض..

بمعنى استبدلنا دكتاتور بآخر أشد همجية, سورياً, وطائفية مقيتة بعنصرية متغطرسة إقليمياً.

وكلاهما جلب الويلات للمنطقة بصراعهما لتحقيق أهدافهم الخاصة.

رغم ذلك فإن فشل مشروع " الهلال الشيعي " سوف لا يعني, بالضرورة, نجاح مشروع " الشرق الأوسط الجديد " بنسخته الاسرائيلية, لأنه ببساطة لم ينجح مع الدول التي طبعت مع إسرائيل تحت مظلة أمريكية, وبقيت حبيسة إطارها الحكومي ولم يصبح التطبيع شعبياً وحقيقياً على أرض الواقع, كما في مصر والأردن بل حتى في دول غير عربية مثل تركيا واذربيجان.

داخلياً وانعكاساً لتوازنات القوى في المنطقة, تبرز استحقاقات ملزمة على الواقع السياسي العراقي, ليست بعيدة عن تهديدات امريكية واسرائيلية لحل الفصائل المسلحة التابعة لإيران, مما استدعى تدخل المرجع الشيعي الأعلى السيد علي السيستاني بنقاطه الخمس والتي أشار فيها إلى ضرورة حصر السلاح بيد الدولة, لتلافي ما قد يحدث من صدام يدفع فاتورته العراقيون دماً ومعاناة وتدمير.

احزاب السلطة الحاكمة قلقة وهمها الأكبر تأخير حدوث تغيير, يضعف من هيمنتها ويفقدها أدواتها المسلحة, وامتيازاتها ومكاسبها السياسية والاقتصادية... ولم تعد تتحمل أي نقد لسياسات الحكومة او بعض شخوصها على وسائل التواصل الاجتماعي او على شاشات الفضائيات وإقامة الدعاوى على الصحفيين لاسكاتهم واشغالهم في جلسات المحاكم. بل ذهب بعض مروجي خطابها و للتقليل من تأثير دعوة المرجع الأعلى بانه لم يكن يقصد سلاح الحشد الشعبي وإنما سلاح الأمريكان, ولكنه لم يوضح تسليمهم السلاح لمن, ثم من له القدرة على إجبارهم على ذلك ؟

كان لدينا امل بأن يكون العراق صاعدة للتغيير الايجابي في المنطقة كبديل لما يحدث باستجابة القوى المسلحة للإرادة الشعبية بحصر السلاح بيد الدولة والبدء بنهج نهضوي جديد يقطع الصلة بما جرى وكان من نهج محاصصي وغياب العدالة الاجتماعية ومصادرة الرأي الآخر والحريات... ولكن التصريحات النارية الرافضة لنزع السلاح وضم أفراد التشكيلات المسلحة إلى مؤسستي الجيش والشرطة, تصاعدت بعد زيارة السيد رئيس مجلس الوزراء محمد شياع السوداني إلى طهران

ولقائه بالمرشد الأعلى ورئيس جمهورية إيران الاسلامية ورفضه لحل الحشد وتسليم سلاحهم للسلطات الحكومية, والذي اعتبر بمثابة فتوى من ولي الفقيه السيد خامنئي بالمواجهة للقوات الأمريكية على أرض الوطن وبافراد عراقيين... وهو كرجل دولة يسعى بالطبع تجنيب بلاده ويلات الحرب ويحفظ دماء مواطنيه والحفاظ على مقدراته.

لابد هنا من ان يكون التعويل على الإرادة الشعبية وطموحاتها في السلام والتقدم.

عراقياً يجب على أصحاب القرار في الدولة العراقية, إعمال العقل والشعور العالي بالمسؤولية لتجنب أي تهديد محتمل, بتقديم مصلحة الوطن وشعبه على أي ارادة اخرى داخلية او خارجية, بنبذ نهج المحاصصة الطائفية ـ العرقية وسلاح التشكيلات العسكرية التابعة لأحزاب السلطة وتبني مبدأ دولة المواطنة والديمقراطية وحقوق الإنسان وحرية الفكر والعدالة الاجتماعية...

أما اقليمياً, فيجب حل مشاكل شعوب المنطقة الاقتصادية وحرياتهم بالأساس وحل القضية الفلسطينية على مبدأ تطمين حقوق الشعب الفلسطيني كاملة وبعدها لكل حادث حديث عن أي تطبيع ممكن.

تنويه..

- نأسف لتأخر صدور هذا العدد بسبب حدث تقني طارئ...
- نرجو، بأن لا يزيد عدد كلمات نشر المقال عن 1500 كلمة. والصور المرفقة لا تزيد عن 3-2 ، خلاف ذلك سنضطر النشر على حلقتين أو أكثر.

مع جزيل الشكر/ هيئة التحرير

آراء حرة..

حروب العشرية الثالثة

حسن خضر*

الحلقة الحادية عشر

لن تتضح حقيقة الأيام الأخيرة لنظام آل الأسد قبل مرور وقت طويل. ثمة معلومات وفتات معلومات، وقد تعكس جانباً من حقيقة حادثة بعينها، ولكنها تظل جزئية، ولا تنجو في كل الأحوال مما يكتنف اللحظة التاريخية نفسها من غموض يُحرّض على أنواع مختلفة من التأويل والتخمين. وأهم المناطق الرمادية، بقدر ما أرى، هي الأيام العشرة، التي احتاجها المهاجمون للزحف من إدلب إلى دمشق (بلا قتال من ناحية فعلية) وتليها من حيث الأهمية ملابسات فرار رأس النظام بطريقة تبدو مهينة تماماً.

بداية، سورية نقطة تقاطع مركزية لكل موازين القوى في الجغرافيا السياسية لبلاد الشام. فوجود نظام ما في دمشق، وديمومته، واستقراره، يعتمد على عوامل إقليمية ودولية، ولا يقتصر على شرعية النظام، وكفاءة الحاكم، بالمعنى الحصري للكلمة. وفي سياق كهذا، نضع عشرين انقلاباً، ومحاولة انقلابية، شهدتها البلاد على مدار 24 عاماً ما بين إعلان الاستقلال 1946 واستيلاء حافظ الأسد على السلطة، بعد الانقلاب على رفاقه، في العام 1970.

وفي السياق نفسه، نضع سلسلة حروب داخلية خاضها، على مدار ثلاثين عاماً، حتى وفاته في العام 2000، وتخللتها مجازر وحشية كما حدث في حماة 1982. ويجب اعتبار دولة المخابرات، التي جعل منها درعاً أمنياً لدولة الطائفة، جزءاً من حروبه الداخلية، أيضاً، ناهيك عن التعامل مع الدولة بمنطق «الأهل والغنيمة» (التعبير لوضّاح شرارة، الذي وظّفه في تحليل نظام العائلة في مكان آخر).

كان استغلال الوظيفة العمومية في بيروقراطية الدولة، والجيش، والمخابرات، للتكسّب غير المشروع في عالم السمسرة والبزنس ســـــمة رئيسة مـــن سمات الأولاد والأقارب وكبار قادة الجيش والأجهزة الأمنية. باسل مات وفي رصيده مئات الملايين من الدولارات، وبشار هرب ومعه مليارات، وماهر كان من كبار منتجي وتجّار الكباتغون.

على أي حال، لم تكن الحروب الداخلية، وسياسات «الأهل والغنيمة» هي العامل الحاسم في ديمومة نظام الدولة الأسدية، بل العوامل الإقليمية والدولية، التي أجاد الأسد الأب الاستفادة منها، وقراءة تحوّلاتها. والمفارقة، في هذا الشأن، أن أوراق العلاقة بإسرائيل والولايات المتحدة، التي احتفظ بها كبوليصة تأمين، هي الأوراق نفسها التي أدى سوء اللعب بها من جانب وريثه إلى الإطاحة بدولته، وفراره بطريقة مهينة من دمشق.

لم تكن علاقة الدولة الأسدية بالأميركيين والإسرائيليين طبيعية (ولم تكن علاقة العميل بمشغّليه، كما يحلل البعض) بل اتسمت بفترات مد وجزر، معطوفة على ثوابت تجلّت مع مرور الأيام، وفي القلب منها تفادي المجابهة في معارك «كسر العظم»، والاستعداد الدائم لتقديم خدمات مقابل عوائد اقتصادية وسياسية.

فعلى الرغم من بلاغة ومبالغات الدعاية القومية للنظام، إلا أنه لم ينتهك وقف إطلاق النار في الجولان، على مدار خمسين عاماً بالتمام والكمال. وفي المقابل، ثمة ما يبرر النظر إلى أولويات الإسرائيليين، الذين «تخوّفوا» من الإطاحة بالأسد الابن ونظامه بعد نجاح الثورة السورية في الاستيلاء على مساحات واسعة من سورية في السنوات الأولى للثورة، وكلام الرئيس الأميركي أوباما عن «ضرورة تنحي الأسد» كنوع من «المكافأة.»

نال الأسد الأب «مكافأة» احتلال لبنان، في العام 1976 بعدما تدخّل عسكرياً لعرقلة ترجيح كفة ما عُرف بالقوى الوطنية والتقدمية، آنذاك، في الحرب الأهلية. ونال مكافأة المساعدات الاقتصادية، وتحسين وضعه السياسي في الإقليم والعالم، بعد التحاقه عسكرياً بالحلف المعادي لصدام حسين، في حفر الباطن، والمشاركة في حرب تحرير الكويت 1991. وربما كانت الثغرة الوحيدة التي لم يتمكن من سدها قبل وفاته، لتأمين ديمومة حكم الابن، هي تطبيع العلاقة مع إسرائيل.

ولنلاحظ، هنا، أن السنوات الأولى، التي أعقبت انتقال سورية من حكم الأب إلى الابن، شهدت تعاوناً وثيقاً، في المجال الأمني، وما عُرف في العشرية الأولى، بعد هجمات الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) 2001، بالحرب على الإرهاب، بين النظام والأميركيين. ويبدو (هذا ما تقع مسؤولية بحثه، والبت فيه، على عاتق المؤرخين السوريين، في حال العثور على وثائق النظام) أن فترة ما بعد التدخل الكثيف للإيرانيين (2013) والروس، قد أفقدت النظام مرونة الحركة، وحريّة المناورة، وبالتالي لم تعد قدرته على اللعب بأوراق البقاء الإقليمية والدولية في أفضل حالاتها.

كان الابن أقل كفاءةً من أبيه بما لا يُقاس، ناهيك عن حقيقة أن النظام تحلل، وازداد وحشية، فما كان في زمن الأب مجرّد تشقق في شرعية النظام صار شرخاً واسعاً يصعب حجبه، والعثور على الوسائل المناسبة للتقليل من أضراره. والأهم من هذا وذاك، أن هجوم السابع من تشرين أوّل (أكتوبر) 2023 قلب الشرق الأوسط رأساً على عقب. وكان هذا أكبر من طاقة النظام على الاستيعاب والاستجابة، على الرغم من الحرص على عدم تفعيل جبهة الجولان (بقدر ما يستطيع) والامتعاض من المجابهة التي فتحها حزب الله على الجبهة اللبنانية (بقدر ما يستطيع).

على خلفية كهذه، يمكن التفكير في أمور من نوع: أن مستوى اللعب بما يضمن ديمومة واستقرار النظام، قد تدهور إلى مستوى اللعب بما يضمن سلامة الأفراد، بعد اليأس من النظام، تجلى الأمر في عمليات «بيع» سبقت مزاد الأيام الأخيرة بسنوات، وشهدت «بيع» لبنانيين وإيرانيين وسوريين في عمليات غامضة وواضحة على الأرض السورية. مَنْ باع مَنْ في الأيام الأخيرة لكبار اللاعبين الأميركيين والأتراك والإسرائيليين؟ هل باع الأسد الابن الجيش والعائلة؟ أم الجيش هو الذي باع الأسد الابن والعائلة؟ فاصل ونواصل.

---

* حسن خضر / كاتب فلسطيني

الحلقة الثانية عشر

يحظى فيلم العرّاب، الذي أخرجه الأميركي فرانسيس فورد كوبولا قبل 52 عاماً، بمكانة أيقونية في تاريخ السينما في العالم، وفي الذاكرة البصرية للملايين من بني البشر في أربعة أركان الأرض. فمَنْ لا يعرف دون كورليوني، زعيم المافيا، الذي تقمّص شخصيته ومثّل دوره مارلون براندو على شاشة هوليوود؟

لا يعنينا من أمر الفيلم، الآن، سوى أن شخصياته الرئيسة صارت مصدراً لتوليد إيحاءات ومجازات متداولة في لغة وأدبيات السياسة، وكانت حتى وقت قريب تكاد تكون محجوزة بالكامل لأنظمة شمولية خارج الغرب الأوروبي والأميركي. واللافت (والذي يجب أن يكون مُقلقاً للأميركيين) أن بعض المعلّقين في الولايات المتحدة يستدعي مجازات كهذه في معرض الكلام عن ترامب، الذي يتوافد الساعون للحصول على «بركته» إلى محل سكناه «لتقبيل الخاتم» كدليل على الخضوع والطاعة. كما يفعل أفراد المافيا في «العرّاب.»

على أي حال، ومن سوء الحظ، بالتأكيد، أن إيحاءات ومجازات دون كورليوني كانت وما زالت وثيقة الصلة بجمهوريات شمولية يتربع على عرشها رؤساء مدى الحياة، وقد تملكتهم طموحات توريث الحكم لأبنائهم، وإنشاء سلالات حاكمة. راودت أحلام كهذه الحاكم في مصر المباركية، والعراق الصدّامي، وليبيا القذافية، ويمن علي صالح، وسورية الأسد.

ومن سوء حظ السوريين، وبلاد الشام، أن «سورية الأسد» كانت الجمهورية الوحيدة، التي تحقق فيها طموح الحاكم، وبطريقة بدا فيها تصميم الطاغية وكأنه يعاند القدر. فالقدر أطاح بالابن الأكبر، باسل، الذي زيّنت صوره الشوارع، واستقر في أذهان الناس بوصفه «الرئيس» القادم، ولكن عناد الحاكم لم يقتصر على استدعاء الابن الثاني، بشّار، وحسب، بل وتجلى بطريقة مبتذلة، أيضاً، في تعليق يافطات تقول: «باسل المثل، وبشّار الأمل.»

المشكلة، بالنسبة للأنظمة المافياوية عموماً، ليست فيما يقول الحاكم، فقد يكون عيياً، صاحب كلمات قليلة، وبلاغة فقيرة، ولكن في اللغة التي يعتقد منتجو بلاغة ولغة ومفردات ومجازات النظام أنها تعبّر عمّا يرضيه فعلاً، وعمّا يدل على براعتهم في استنباط وصياغة وتعميم ما يرضيه فعلاً.

وهذا هو مصدر الركاكة والابتذال في الكلام الفارغ الذي يتشكّل منه خطاب الحاكم وعلف المحكوم. فلا هو ذكي بما يكفي لاكتشاف المُخجل في الخطاب، ولا هم شرفاء بما يكفي لاحترام النفس أو الحقيقة. وعلى مسطرة كهذه تبدو توليفات من نوع «أسد إلى الأبد»، و«باسل المثل وبشار الأمل» و«الأسد أو نحرق البلد» أقرب إلى فضيحة أخلاقية وسياسية منها إلى أي شيء آخر.

والمهم أن «بشّار الأمل» يعيدنا إلى دون كورليوني وأولاده، حيث يتجلى التضاد بين الأخوين سوني ومايكل. الأوّل، الأكبر، الذي بدا وريثاً طبيعياً لأبيه، طائش ومتهوّر، والثاني، الأصغر، العاقل والمتزن، الذي صار وريثاً على مضض بعد مقتل سوني على يد عائلة مافيا معادية. عقد المعلّقون الغربيون مقارنات كهذه بين أولاد صدّام حسين، ومبارك، والقذافي، وأقارب علي صالح، وأولاد الأسد، بطبيعة الحال.

بدا بشّار، الذي تظاهر بأنه قبل وراثة الحكم على مضض، للوهلة الأولى، أقرب إلى مايكل منه إلى سوني. فقد اختار مهنة غير الجيش، خلافاً لما ينبغي أن يكون تقليداً عائلياً، وكان خجولاً ومنعزلاً، يرتبك، ويحمر وجهه لأتفه الأسباب، ويبدي الخضوع لأخيه الأكبر، باسل، الذي يستعذب تأنيبه والسخرية منه.

نعثر على تفاصيل كهذه في كتاب اللبناني ـ الأميركي سام داغر «الأسد أو نحرق البلد: كيف أدت شهوة عائلة للسلطة إلى تدمير سورية» (بالإنكليزية 2019) الذي، على الرغم من عدم حضور دون كورليوني وأولاده في كتابه، يقدّم معلومات بيوغرافية مفيدة عن سنوات بشّار الأولى، والانقلاب الذي طرأ على حياته، بعدما صار وريثاً للحكم فور موت أخيه، الوريث الطبيعي والأوّل.

اعتمد داغر على مقابلات أجراها مع أشخاص عرفوا الوريث على مدار سنوات طويلة، من سني الطفولة، وحتى مرحلة متأخرة من سنوات الحكم والرئاسة، وانشقوا عنه بعد اندلاع الثورة السورية (2011) وأهم ما في روايات هؤلاء، وذكرياتهم، أن تحوّلاً راديكالياً طرأ على شخصية بشّار الأسد بعدما نصّبه أبوه وريثاً للحكم. فالوريث الخجول، سريع الاضطراب والاحمرار، تحوّل إلى شخص يصر على إبداء القوّة، والحسم، والثقة بالنفس.

واللافت، في هذا كله، عبارة تكررت على لسانه في سنوات ما قبل الرئاسة، وبعدما صار رئيساً لسورية. تقول العبارة، التي صاغها بشّار في حفلة لأصدقائه على شاطئ اللاذقية، قبل الرئاسة، وفي ملاحظات لأصدقاء مقرّبين في القصر الجمهوري، ولقاءات اجتماعية: «هذا الشعب لا يُحكم إلا بالحذاء على رأسه.»

وبالعودة إلى الطريقة التي حكم بها بشّار الأسد سورية، وأدار خلالها أهم التحديات التي جابهته: ربيع دمشق، الاحتلال الأميركي للعراق، قضايا الوصاية السورية على لبنان، واغتيال الحريري، والثورة السورية (2011) التي دمّر في الرد عليها سورية، ومشهده الأخير هارباً ومذعوراً من دمشق، لا يبدو من قبيل المجازفة القول، إن مجاز الحذاء على الرؤوس، بما فيها رأسه هو في المشهد الأخير، يوفر لنا مفتاحاً فائق الأهمية لتحليل شخصية الوريث، الذي حكم سورية، وقتل السوريين وشرّدهم، على مدار 24 عاماً قضاها في الحكم، وريثاً، وآخر السلالة الحاكمة.

لم يكن بشّار بن حافظ الأسد، مايكل بن دون كورليوني، بل كان سوني، ولكنه سعى جاهداً للتماهي مع شخصية رئيس المافيا الابن، مايكل، فكانت النتيجة مجرّد تمثيلية مأساوية فاشلة، على مسرح التاريخ، لا على شاشة هوليوود.

فاصل ونواصل.

آراء صحفية..

تاثير سوريا الجديدة على إيران وروسيا وباقي المنطقة

سعد عبدالله عبد علي

"العراقيون من بين كل الناس في العالم يفهمون مدى ابتهاج السوريين اليوم بإسقاط دكتاتورية الأسد الوحشية, تلك الدكتاتورية التي استمرت لعقود من الزمن, وتكررت مشاهد مماثلة لسقوط الطاغية صدام قبل 21 عاما في بغداد, وإن كانت على خلفية الاحتلال، في مختلف أنحاء العراق منذ أكثر من عقدين من الزمن عندما تمت الإطاحة بدكتاتور بعثي وحشي آخر، وهو صدام التكريتي, وفي الوقت نفسه يشعر العراقيون بالقلق مما قد يحدث بعد ذلك، لأن وجه المعارضة السورية المسلحة اليوم, هو رجل ارهابي شارك في الإرهاب في العراق, كعضو مجرم في تنظيم القاعدة، ثم انضم الى تنظيم الدولة الإسلامية الإرهابي في وقت لاحق."

رغم أن العديد من السياسيين والمحللين ومقدمي البرامج المهمة استخدموا العراق باعتباره مجرد قصة تحذيرية لمستقبل سوريا، لكن هذه الحجة غير كاملة, فهي تتجاهل الدروس الإيجابية التي يمكن ان تقدمها تجربة العراق.

لقد كان كلا البلدين تحت سيطرة البعثية لعقود من الزمن، وعانوا من التدخلات الخارجية، وكلا البلدين لديهما تنوع سكاني, فمن ناحية، تستطيع سوريا أن تتعلم من نموذج إقليم كردستان الناجح في العراق، والذي منح الأكراد العراقيين درجة كبيرة من الحكم الذاتي, واعترف بلغتهم وثقافتهم ودورهم الأساسي في الحكومة الفيدرالية,

وتواجه تجربة العراق رسائل تحذير: عدم تجاهل العدالة الانتقالية، وعدم التعجل في كتابة الدستور الجديد، وعدم منح حزب البعث اي مناصب, والانتباه للدولة العميقة التي سيحاول انشاءها, واهمية اللجوء إلى عملية اجتثاث البعث بشكل كامل من دون استثناءات.

الرابحون والخاسرون في سوريا

احتفل الملايين من السوريين داخل وخارج البلاد بالانهيار غير المتوقع لواحدة من أكثر الدكتاتوريات وحشية في الشرق الأوسط، وذلك لسبب وجيه إن النظام البعثي الذي حكم سوريا بشكل مستمر منذ عام 1963، خلال العقود الخمسة الماضية تحت العلامة التجارية الخاصة لاستبداد عائلة الأسد، لم يستنزف سوريا فحسب، بل حولها أيضًا إلى حامية روسية, كما أنها انتكاسة لدول الخليج العربية التي كانت تحاول تطبيع نظام الأسد. وهم معرضون لخسارة نفوذهم السياسي، بينما ستكسبه تركيا، الداعمة القديمة للمتمردين السوريين.

لكن بالنسبة للسوريين فإن العمل الشاق يبدأ الآن, حيث لا تتمتع قوى المعارضة داخل البلاد وخارجها بأي الخبرة في الحكم، بالاضافة لفقدان الانسجام بين قوى المعارضة , وتحكم هيئة تحرير الشام الارهابية محافظة إدلب الحدودية الشمالية، حيث يعيش أكثر من 3 ملايين سوري في ظل نظام محافظ, إنها قوة قتالية فعالة ولكن ذات جذور جهادية والقاعدة المتطرفة, مما يجعلها نذير مستقبل اسود, لكن حاليا لا تستطيع هيئة تحرير الشام المتطرفة أن تهيمن على النسيج السياسي والاجتماعي المتنوع للمجتمع السوري, لذلك ستعمل على التعاون مع باقي القوى.

أما الأكراد المتحالفون مع الولايات المتحدة والعرب السنة المدعومين من تركيا, فهم الميليشيات الأخرى التي ساعدت في سقوط الأسد, وتدير أيضًا جيوبهم المنفصلة في شمال سوريا، لكنهم بحاجة الآن إلى إظهار المرونة السياسية والأيديولوجية ليكونوا جزءًا من عملية انتقالية شاملة, مشروع الحكم في دمشق, ولن يكون كبح نفوذ الإسلاميين المتطرفين بالأمر السهل، لكن إشراكهم في العملية السياسية وشبح الانتخابات في غضون عام، فضلاً عن نفوذ أنقرة، قد يكون له تأثير معتدل.

الآن أصبح لدى ملايين السوريين فرصة العودة إلى ديارهم وتحقيق التوازن في مواجهة الميليشيات المسلحة والتطرف, وسوف يستمر الغرب في الاهتمام بسوريا، ليس فقط في مكافحة عودة تنظيم الدولة الإسلامية الارهابي، بل وأيضاً في البقاء

منخرطاً في ضمان أمن الكيان الصهيوني، ودرء التطرف, والمساعدة في تطور البلاد.

سوريا الجديدة والتاثير على روسيا

عانت روسيا من خسارة هائلة في القدرة على استعراض القوة نتيجة لسقوط نظام الأسد في يد هيئة تحرير الشام, ولم تنجح الضربات الجوية الروسية المحدودة في ايقاف هجوم هيئة تحرير الشام الارهابي، وأثبت المستشارون الروس والأصول العسكرية عدم جدواهم, مما جعل روسيا تخسر مصداقيتها في مختلف انحاء الشرق الاوسط, وتخسر سمعتها حول قدراتها.

هناك قاعدة حميميم الجوية وقاعدة طرطوس البحرية، وهي القواعد الأساسية لوجودها العسكري في الشرق الأوسط. وباعتبارها المكان الوحيد لروسيا للتزود بالوقود في البحر الأبيض المتوسط، فإن طرطوس مهمة للجيش الروسي, ومصدر إزعاج على الجناح الجنوبي لحلف شمال الأطلسي.

وكانت القواعد الروسية في سوريا حاسمة في إمداد الفيلق الأفريقي الروسي في جميع أنحاء أفريقيا, وفي حين أن روسيا لديها أيضًا قواعد في ليبيا لتزويد الفيلق الأفريقي، فإن أنظمتها اللوجستية ستكون مقيدة إذا فقدت القواعد السورية, وبعد أن خففت لهجتها، تتواصل موسكو مع هيئة تحرير الشام الإرهابي للتفاوض بشأن الحفاظ على وصولها إلى القواعد, وفي حين أن هيئة تحرير الشام قد تكون حريصة على التماس الشرعية الدولية (مراقبة تقارب موسكو مع طالبان)، فهل تخاطر بوجود الأصول العسكرية الروسية للانقلاب على حكمها في المستقبل؟

وبغض النظر عما إذا كانت روسيا ستتمكن في نهاية المطاف من الاحتفاظ بالقواعد السورية أم لا، فإن روسيا مشكلة كبيرة, فالأنظمة العسكرية الحاكمة التي تدعمها في غرب ووسط أفريقيا وعلى ساحل المحيط الأطلسي قد شهدت للتو مدى عجز روسيا, إن روسيا في الواقع تعيش لحظة الحقيقة تؤدي خسائر المصداقية هذه إلى تفاقم الخسائر التكتيكية التي تكبدها الفيلق الأفريقي على يد الجهاديين والمتمردين المحليين في مالي خلال الصيف. واعتماداً على خدمات الحراسة البريتورية التابعة للفيلق الأفريقي، لا تستطيع المجالس العسكرية في غرب أفريقيا أن تتخلى عن تحالفاتها مع روسيا. لكن الواجهة بدأت تتقشر.

لماذا انهار جيش الأسد

كان التفسير المهيمن لكيفية تمكن بشار الأسد من البقاء على قيد الحياة منذ عام 2011 هو تماسك قواته العسكرية والأمنية, وخاصة الضباط المكتظين بمجموعة أقلية (العلويين), الذين اعتبروا تغيير النظام بمثابة تهديد وجودي, فالسؤال هو: لماذا إذن يبدو أن هذا الجيش لم يخوض قتالاً في الأسبوع الماضي؟ هناك عدد من الفرضيات تحمل بعض الثقل، بما في ذلك الإرهاق، ومعنويات المجندين، وانعدام العزيمة من جانب الأسد، والصدمة والرعب من زخم المتمردين, ومع ذلك، أود أن ألفت الانتباه إلى عاملين أوسع نطاقاً أيضاً وهما:

أولاً: ربما يكون الافتقار إلى الدعم من روسيا وإيران وحزب الله قد أدى إلى إحباط معنويات الجيش السوري, ودفعه إلى الاستسلام،

وثانياً، ربما أدت وعود المتمردين بالعفو والحكم الذاتي إلى دفع الجيش السوري إلى الاستسلام. العلويون يرون مستقبلاً لأنفسهم بعد الأسد.

وبالنظر إلى المستقبل، فيجب التركيز على أمرين:

أولاً، على المستوى المحلي، ستؤثر الخطوات المبكرة التي تتخذها هيئة تحرير الشام بشكل كبير على ما إذا كانت سوريا سترتد إلى الحرب الأهلية. وحتى الآن ترسل هيئة تحرير الشام الإشارات الصحيحة, الوعد بحقوق متساوية لجميع السوريين، واللامركزية والحكم الذاتي الإقليمي، والعفو عن جنود الأسد, ومع ذلك إذا بدأت أي من الجماعات المسلحة العديدة في سوريا تشعر بالظلم، فيمكنك أن تتوقع العودة إلى العنف.

ثانياً، قد تحمل الإطاحة بالأسد أصداء كبيرة لصراعات أخرى في المنطقة. إن عجز روسيا وإيران أو عدم رغبتهما في تقديم المساعدة للأسد من شأنه أن يضعف يد حزب الله في لبنان، والحوثيين في اليمن، والميليشيات الشيعية في العراق، مما قد يؤدي إلى تحول ديناميكيات السلطة في كل من هذه السياقات.

تصميم سوريا الجديدة هو الخطوة الأولى

يمثل السقوط المذهل للرئيس السوري بشار الأسد أحدث مثال على أن عام 2024 هو العام الأكثر تحولا في الشرق الأوسط منذ عام 1979, فقد انقلبت المنطقة رأسا على عقب بطرق لا تعد ولا تحصى, كانت مجموعة واسعة من الجماعات ترغب في نهاية نظام الأسد منذ أن حكم حافظ الأسد البلاد, ومع تحقيق هذه التطلعات أخيراً في نهاية هذا الأسبوع مع اقتراب أكثر من 50 عاماً من حكم الأسد، فإن أحد الأسئلة التي تلوح في الأفق الآن هو كيف يمكن ربط تقاسم السلطة المحلية بطريقة عادلة تمنع التدخل غير المفيد من قبل الجهات الفاعلة الخارجية, وتوفر الحكم والإصلاح الأمن للشعب السوري. وفي حين أن هذا أمر صعب بالفعل، إلا أن الخطوات الأصغر نحو تحويله إلى واقع يمكن أن تأتي في شكل البدء في تنفيذ قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 2254، مثل صياغة دستور جديد والتحضير لإجراء الانتخابات.

إيران ما بعد الأسد

يوجه سقوط نظام الأسد مشكلة كبيرة للجمهورية الإسلامية الإيرانية واستراتيجيتها في دعم خط المقاومة, بوجه خط الاستكبار العالمي وذيوله في المنطقة, والتصدي لمشروع التطبيع مع الصهيونية, فإلى جانب العمليات العسكرية الصهيونية الأخيرة في لبنان وفلسطين، يواجه القادة الإيرانيون مشكلة حقيقية في استمرار ما تم بنائه خلال السنوات الاخيرة, بسبب التحسينات المكلفة التي تحققت بشق الأنفس في تدعيم خط المقاومة, والحقيقة حقق نجاحات كبيرة أذهلت الدول العظمى التي لا تريد هذا الأمر الذي يقف بوجه مخططاتهم في الشرق الأوسط, وقد كانت حرب غير متكافئة في مجال التكنولوجيا والتسليح.

لكن ان يستمر الصمود اكثر من عام فكان امرا عظيما, لذلك كان الغرب وامريكا والصهاينة تجد في اثارة الساحة السورية فرصة كبيرة للانتصار على خط المقاومة, لذلك سوريا الجديدة تمثل تهديد حقيقي لاستمرار نجاح خط المقاومة.

وتمثل خسارة دمشق ثغرة كارثية في قناة إعادة إمداد حزب الله، جوهرة تاج خط المقاومة ضد الصهيونية والاستكبار العالمي، ويمكن للجمهورية الإسلامية أن تستفيد من تاريخها الحافل بالتعافي من الانتكاسات الاستراتيجية الشديدة, من خلال ممارسة اللعبة الطويلة، ولكن من دون الوصول إلى سوريا حاليا.

لقد نهضت الجمهورية الإسلامية من تحت الرماد من قبل، وخاصة في أواخر الثمانينيات بعد الحرب الطويلة التي فرضت عليها من قبل حكومة صدام المدعومة من الغرب, وليس أكثر اهمية حاليا الا السكون والانتباه المركز للاحداث, ولكن نظراً لشعورهم الدائم بانعدام الأمن بوجود تجمع لجيوش الغرب في المنطقة، وتطور أساليب الحروب, فإن القادة الإيرانيين يدركون تماماً المخاطر الكامنة في وضعهم الحالي, مع صدمة انهيار أحد الحلفاء المهمين.

***

خبايا مشبوهة

سابقة لم يشهدها بلد سوى العراق!

الجوازات الدبلوماسية تصبح إرثاً عائلياً...

ضجت الأوساط الشعبية والقانونية كما تضج المقاهي عند انقطاع الكهرباء، بعد أن قرر البرلمان التصويت على التعديل الأول لقانون جوازات السفر رقم 32 لسنة 2015، وكأنما البلاد انتهت من جميع أزماتها ولم يبق سوى "مأساة" جوازات السفر الدبلوماسية لتُحل في جدول أعمال الجلسة الأولى من الفصل التشريعي الأول للدورة الانتخابية الخامسة، ليمنح جوازاً دبلوماسياً لكبار مسؤولي السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية وعوائلهم مدى الحياة اي حتى بعد مغادرتهم الوظيفة، في سابقة تأريخية، لم تحصل في اي بلد بالعالم.

وما أثار الغبار فوق رؤوس الحاضرين هو الأسباب الموجبة للتعديل، التي جاء فيها أن "التزاماً بما قضت به المحكمة الاتحادية العليا بموجب قرارها بالعدد ثلاثة اتحادية 2023، وبغية تنظيم آلية منح جوازات السفر الدبلوماسية لأعضاء السلطتين التشريعية والتنفيذية والقضائية"، ليبدو وكأنما هذه الجوازات هي السلاح السحري الذي سيقضي على البطالة والفقر والتلوث بلمسة واحدة!

خرق وضح للدستور

بدوره، قال الخبير القانوني علي التميمي إن "تصويت البرلمان العراقي على تعديل جزئية في قانون جوازات السفر رقم 32 لعام 2015، تضمن منح جواز السفر الدبلوماسي لرؤساء وأعضاء السلطات الثلاث وعوائلهم وأسرهم وأولادهم بأثر رجعي ومستقبلي، وهو ما يُعد خرقاً واضحاً للمادة 14 من الدستور التي تساوي بين العراقيين جميعاً وتمنع أي تمييز."

وأضاف التميمي لـ"عراق أوبزيرفر" أن "هذا التعديل خالف أيضاً اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961، التي تنص على منح جواز السفر الدبلوماسي فقط للشخصيات التي قدمت إنجازات للبشرية، كالحاصلين على براءات اختراع أو مؤلفين بارزين، لتسهيل أمور سفرهم، وليس كإرث يُورث للعوائل والأبناء.

وأشار إلى أن "منح جواز السفر الدبلوماسي للمسؤولين ينتهي بانتهاء مهامهم، ولا يجوز أن يمتد أثره المستقبلي لعائلاتهم، إذ أن هذا الجواز ليس تركه أو قسماً شرعياً يمنح بهذه الطريقة. كما أن هذا القانون قابل للطعن أمام المحكمة الاتحادية العليا بموجب المادة 93 من الدستور، لوجود مخالفات دستورية واضحة، إلى جانب مخالفته لاتفاقيات دولية".

وأوضح التميمي أن "عدد جوازات السفر الدبلوماسية الممنوحة في العراق يتجاوز الـ35 ألف جواز في سنة واحدة، وفق إحصائيات رسمية، وهو رقم ضخم بالمقارنة مع دول كالهند واليابان، التي لا يتجاوز عدد الجوازات الدبلوماسية فيها 20 ألفاً، رغم أن تعداد سكانها يصل إلى مئات الملايين".

نواب ينتقدون التعديل

وواجه التعديل انتقادات حادة من قبل نواب وخبراء قانونيين، إذ حذر عضو اللجنة القانونية النيابية، محمد جاسم الخفاجي، من أن منح الجواز الدبلوماسي يجب أن يكون مرتبطًا بالوظائف الدبلوماسية والسيادية، وينتهي بانتهاء تلك الوظائف، وأن التعديل المقترح يمنح هذه الامتيازات مدى الحياة وبأثر رجعي، مما يتنافى مع مبادئ العدالة الاجتماعية.

وأوضح عضو اللجنة القانونية النائب محمد عنوز أن "التعديلات شملت أي مسؤول سابق لديه جواز سفر دبلوماسي، عند خروجه من مهام وظيفته يتم التجديد له بشكل طبيعي له فقط"، نافيًا في تصريح صحفي، أن "عوائل المسؤولين غير مشمولين بالجوازات الدبلوماسية."

وأكد خبراء قانونيون أن هذه الفكرة التي تجعل من الجواز الدبلوماسي إرثاً عائلياً محفوظاً مدى الحياة، تعد مخالفة صارخة للمادة الرابعة عشرة من الدستور، التي يبدو أن البرلمان قرأها كقصيدة شعرية ولم يأخذها على محمل الجد.

ما مخاطر ذلك؟

وحذر مراقبون من أن منح هذه الجوازات الدبلوماسية دون حسيب أو رقيب ليس فقط "استهزاءً" بالداخل، بل يمثل خرقاً فاضحاً لاتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961، وسط تساؤلات عمّا إذا كان البرلمان العراقي سمع بهذه الاتفاقية، أو ربما ظنها عنوان رواية رومانسية!

ومن المعروف أن جواز السفر الدبلوماسي حول العالم يُعتبر من الخطوط الحمراء، ولا

يُمنح إلا للشخصيات المعروفة أو لبعثات دبلوماسية أو جهات تنفيذية عليا أو لأشخاص قدموا خدمات للبشرية بهدف تسهيل أمور سفرهم، وذلك وفق الأعراف الدبلوماسية والبروتوكولات المعمول بها، وليس للمسؤولين وأولادهم وعائلاتهم وأصدقائهم وبأثر رجعي.

الولايات المتحدة أنموذجًا

بدوره، أوضح الباحث العراقي باسل حسين أن المقارنة بين القانون العراقي المعدل للجوازات الدبلوماسية وما يجري في الدول الكبرى، تكشف عن فجوة عميقة في الفهم والتطبيق.
وأشار حسين في منشور عبر منصة (أكس) إلى أن "في الولايات المتحدة، يتم منح الجواز الدبلوماسي فقط للأشخاص الذين يشغلون مناصب رسمية تتطلب تمثيل الدولة في الخارج، مثل رئيس الولايات المتحدة ونائبه ووزير الخارجية وكبار المسؤولين في وزارة الخارجية، بالإضافة إلى الدبلوماسيين الأمريكيين المعتمدين لدى البعثات الدبلوماسية في الخارج وأفراد عائلاتهم المعالين، ولفترة محددة لا تتجاوز مدة المهمة الرسمية".

وأضاف حسين أن "الجواز الدبلوماسي الأمريكي لا يُعتبر امتيازاً أو وجاهة شخصية، بل أداة تستخدم فقط لأداء المهام الرسمية، ويُسترجع فور انتهاء المهمة أو الوظيفة التي استدعت إصداره، مما يظهر احتراماً عالياً للدبلوماسية كمفهوم وظيفي وليس كوسيلة لإظهار الفخامة".

وختم حسين قائلاً: "تصوروا أن الجواز الدبلوماسي ليس امتيازاً أو فخفخة، بل مجرد أداة رسمية. لا يوجد في دولة محترمة أو حتى غير محترمة ما يشبه القانون العراقي الجديد في استباحته لهذه الصفة السيادية".

15يناير، 2025

جلسة أستذكارية مهيبة في برلين للمخرج السينمائي الراحل قيس الزبيدي

سامي جواد كاظم

تلبية للدعوة الخاصة التي وجهتها اللجنة التحضيرية لتنظيم إستذكارية المخرج السينمائي الكبير الراحل قيس الزبيدي توافد في يوم السبت المصادف 11 كانون الثاني 2025 عشرات المثقفين العراقيين والعرب والالمان من رفاق ومجايلي الفقيد والمهتمين بصناعة السينما للمشاركة في أستذكاره وتكريمه كمثقف يساري أسهم في أغناء سينما ملتزمة بقضايا الشعوب المضطهدة وكفاحها من أجل الحرية والانعتاق.

استهلت الجلسة السيدة ايرت نايدهارت باللغتين الألمانية والعربية بعد الترحيب والتطرق لبرنامج الجلسة بدعوة الحضور للوقوف دقيقة صمت استذكاراً للفقيد ثم دعت الشاعر د. حميد الخاقاني لإلقاء كلمته باسم رفاق وأصدقاء الراحل قيس الزبيدي الذي تناول فيها المحطات التي رافق فيها قيس منذ ان تعرف عليه مسلطاً الضوء على منجزه السينمائي والثقافي والإنساني وانحيازه المطلق لمفاهيم الحرية والعدالة الاجتماعية لكادحي الشعوب المضطهدة أينما كانت وعلى وجه الخصوص قضية الشعب الفلسطيني وكفاحه المجيد ضد الاحتلال الصهيوني ومن اجل أقامة دولته المستقلة وتطرق ايضاً للدور النشط الذي قام فيه مع بقية زملائه من المثقفين العراقيين من أجل تأسيس رابطة الكتاب والفنانين الديمقراطيين العراقيين في المهجر بعد الحملة التي طالت القوى اليسارية والديمقراطية من قبل النظام الدكتاتوري البعثي المنهار ، والتي أجبرت المئات من خيرة مبدعي ومثقفي الوطن إلى مغادرة البلاد. وفي ختام الكلمة قرأ الأستاذ مثنى محمود نصَّها بالألمانية.

ثم تقدم إلى المنصة الأستاذ ناصر ونوس كاتب وسينمائي سوري ليلقي كلمته التي تطرقت إلى العلاقة الوثيقة التي كانت تربطه بقيس أثناء إقامته في دمشق والأعمال السينمائية التي انجزها في وقتها وأشاد بشخصيّته الدمثة وأشتغاله الدؤوب على أسلوبه السينمائي الخاص به في اخراج الأفلام الوثائقية والقصيرة ، وعرَّج على أهم ماأنجز الفقيد للسينما الفلسطينية والعربية وأرشفتها وإغناء المكتبة السينمائية والفكرية في العديد من المؤلفات والدراسات القيمة.

بعدها ألقى نيابةً وبالالمانية الأستاذ عبد الله حجازي كلمة د.ماهر الشريف/ باحث في مؤسسة الدراسات الفلسطينية وأستاذ متفرغ في جامعة القديس يوسف في بيروت عضو المكتب السياسي لحزب الشعب الفلسطيني التي أضاء فيها جوانب من مراحل علاقاته الوطيدة مع الفقيد وارتباطه الوثيق بقضية الشعب الفلسطيني والأفلام الكثيرة التي انجزها لدعم صمود الشعب الفلسطيني في مقاومته للاحتلال الصهيوني ووزع النص العربي للكلمة على الحضور.

ثم قرأ د. بهاء الخيلاني / رئيس منتدى الثقافة العربية في برلين كلمة بهذه المناسبة وأشاد فيها بالمنجز الثقافي للفقيد كمثقف عراقي وعربي المعي أثرى السينما العربية.

تلى الكلمة عرض ثلاث أفلام قصيرة أخرجها وكتبها الفقيد أولها فلم "نزهة" تناولت مرحلة انقلاب ٨ شباط الفاشي في العراق وفلم "اليارزلي" الذي ألقى الضوء على معاناة أطفال المخيمات الفلسطينية وفلم "زيارة" الذي شاركت فية الممثلة السورية الشهيرة " منى واصف"

بعدها توجهت الكاتبة والسينمائية الألمانية السيدة ايرت نايدهارت إلى المنصة لألقاء كلمتها المؤثرة بحق فقيدنا الراحل قيس الزبيدي وزياراتها المتكررة له مع زميلها السينمائي والصحفي عصام الياسري وهو في أيامه الأخيرة وتعبيره في كل زيارة عن تمسكه اللامتناهي بالحياة.

هذا ووصلت إلى اللجنة التحضيرية العديد من الكلمات بهذه المناسبة من بعض السينمائيين والكتاب العراقيين والألمان الذين لم يتمكنوا من الحضور والمشاركة لأسباب مختلفة منهم السينمائية وزميلة الفقيد في الدراسة السيدة گرت لمكه والتي عملت معه في مهرجان لايبزگ الدولي للأفلام الوثائقية والقصيرة والسينمائي العراقي المعروف قاسم حول والكاتب العراقي د. عبد الحسين شعبان ، ونجا الأشقر ناقدة سينمائية لبنانية والكاتبة الفلسطينية ليانا بدر والسينمائي والمؤلف والناقد الأردني عدنان مدانات.

وفي الختام قامت السيدة ايرت بتسليم رفيق وصديق الراحل قيس الزبيدي الصحفي والسينمائي عصام الياسري مدونة مطبوعة بأناقة قامت بأعدادها تتضمن مقالات ومعايشات عن الراحل كتكريم وأستذكار له ليقوم بدوره بايصالها لعائلته، ثم ألقى الزميل عصام كلمة موجزة باسم اللجنة التحضيرية شكر فيها السيدات والسادة على تلبيتهم دعوة الحضور والمشاركة لاستذكار هذا الفنان والمثقف العراقي العضوي الذي ستخلده أعماله ومؤلفاته الكثيرة والذي لم يحيد عن المبادئ والافكار التي أعتنقها وعبر عن حزنه وألمه الكبير بفقدان صديقه ورفيق دربه الأثير قيس خضير الزبيدي.

محاور أدبية

إبن رائق الموصلي... حلقة (2)

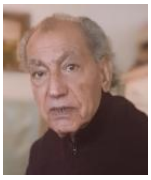

د. عدنان الظاهر

2 ـ المسعودي وإبن رائق

لم يذكر المسعودي في كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر إبن رائق إلاّ في زمن الخليفة الراضي (322 - 329 هجرية) والخليفة المتقي لله (329 - 333 هجرية). كما أنه لم يتوسع في تفصيل ذكر أخبار هذا الرجل مكتفيا بالقول إنَّ تفصيلات كثيرة حوله قد وردتْ في كتابيه (الكتاب الأوسط) وكتاب (أخبار الزمان) اللذين لم يصلا إلينا مع شديد الأسف.

بالحساب البسيط يتضحُ لنا أنَّ إبنَ رائق ظهر على مسرح السياسة والحروب شخصيةً مؤثّرة وقائداً معروفاً في فترة لا تتجاوز الثمانية أعوام. أي الفترة الواقعة ما بين عام 322 الهجري حتى مقتله (إبن رائق) في زمن الخليفة المتقي عام 330 الهجري.

لم يستطعْ بجكم وتوزون التُركيان ولا كورتَكين الديلمي من القضاء على هذا القائد العسكري العراقي لكن، للأسف الشديد، قتله غِيلةً أميرُ الموصل ناصر الدولة الحسن بن عبد الله الحمداني، شقيق علي بن عبد الله سيف الدولة الحمداني.

3 ـ حروب إبن رائق

3 ـ 1 // في زمن الخليفة الراضي بالله العباسي (322 - 329 للهجرة)

(مرداويج، أي مُعلّق الرجال)

يُسهب المسعودي (3) في سرد وقائع الحروب والفتن التي وقعت في زمن خلافة الخليفة المقتدر العباسي (295 - 320) حتى صعود نجم رجل يقال له مرداويج.

كان مرداويج هذا صاحب جيش ومن أصحاب رجل من الجبل يدعى أسفار إبن شيرويه. وقصة أسفار إبن شيرويه هذا تستحق الذكر. فلقد إختاره عام 317 الهجري صاحب خراسان للخليفة المقتدر المدعو نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد قائداً لقتال جيوش الحسن بن القاسم الحسني الملقب بالداعي الحسني. كان هذا الداعي الحسني على رأس جيش من الجبل والديلم مُنشقاً على المقتدر خليفة بغداد. كانت الحرب أولا على بلاد طبرستان ثم إنتقلت إلى الري. لقد إنتصر أسفار إبن شيرويه في نهاية الأمر وإنهزم الداعي الحسني بين يديه. وإستولى أسفار على بلاد طبرستان والري وجرجان وقزوين وزنجان وأبهر وقُم وهمذان والكرخ (هكذا وردت) ودعا لصاحب خراسان نصر بن أحمد بن إسماعيل وهو أميرها للخليفة المقتدر.

ما الذي حدث بعد ذلك ؟ يقول المسعودي (3): ((... وعَظُمت جيوشهُ وكَثُرت عدّته فتجبر وطغى وكان لا يدين بملّة الإسلام وعصى صاحب خراسان وخالف عليه وأراد أن يعقدَ التاجَ على رأسه وينصب بالري سريراً من ذهب للمُلْك... فسيّرَ المقتدرُ هارون بن غريب في الحال إلى قزوين فكانت له معه حروب فإنكشف هارون وقُتِل من أصحابه خلقٌ كثير ...)).

وتدور الدوائر على أسفار إبن شيرويه فيقتله صاحبه السابق مرداويج.

ثم تدور عجلة التأريخ فيعلو شأن مرداويج ((وتكثر جيوشه ويشتد أمره ويُفرّقُ قواده في بلاد قم وكرخ إبن أبي دُلَف والبرج وهمذان وأبهر وزنجان)) ويشق بدوره عصا الطاعة على خليفة بغداد (السلطان). وكان في همذان جيش للسلطان (الخليفة) يقوده أبو عبد الله محمد بن خَلَف الدينوري. وعاون أهلُ همذان أصحاب السلطان فقُتِل من رجال مرداويج خلق كثير من الديلم والجبل. ثم ينتقم من أهل همذان شر إنتقام جرّاء قتلهم لإبن أخته الذي كان بدوره يقود جيشاً. وينتقل إلى مدينة الدينور فيستبيحها ويقتل حتى المستورين والصوفية والزهّاد ويبيح الأموال والدماء والفروج.

مرداويج وإبن رائق

ومن أصبهان يتجه مرداويج إلى محمد بن رائق وهو بالرقة من بلاد ديار مُضر.

حين قصده مرداويج، كان إبن رائق على ما يبدو متأهبا لمحاربة الإخشيد محمد إبن طَغَج تنفيذا لأوامر خليفة بغداد. فلقد كانت الحرب لا تكاد تضع أوزارها حتى تستعر ثانيةً بين بغداد وإخشيد مصر. وكانت ساحاتها بعض مدن ومناطق بلاد الشام.

يقول المسعودي (4) إن أحد قادة إبن رائق المدعو رافع القرمطي إحتال على مرداويج وتمكن من الإستفراد به وعزله عن عسكره ثم ألقاهُ في ماء نهر الفرات مُقيَّداً (كيف لم يمت؟).

ويعيد مرداويج سيرةَ سيده الذي ذبحه أسفار إبن شيرويه ((فطغى وتكبّرَ وعَظُمت جيوشه وأمواله وعساكره وضرب سريراً من الذهب رُصِّع بالجواهر وعُمِلت له بدلة وتاج من الذهب وجمع في ذلك أنواع الجواهر)). ثم يلقى ذات مصير سيده الذي خان، فيقتله سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة هجرية (323) في زمن الراضي رجلٌ تركيُّ الأصل من خاصة رجاله يُسمى بجكم يساعده تركيٌّ آخر يُسمّى توزون. وسيلعبُ هذان الرجلان فيما بعد أدواراً خطيرة في تأريخ دولة بني العباس في بغداد من تنصيب وخلع وقتل بعض الخلفاء.

بجكم وإبن رائق الموصلي

يقول المسعودي (5) :

((... وسار بجكم التركي فيمن معه من الأتراك وقد جمعوا أنفسهم إلى أنْ يخلصوا من الديلم. وسار إلى بلاد الدينور فجبى منها الخراج وأخذ كثيراً من الأموال. وسارَ إلى النهروان على أقل من يومين من مدينة السلام فراسل الراضي وكان الغالب على أمره الساجية وعدّةٌ من الغلمان الحجرية فأبوا أنْ

يتركوه يصل الحضرة خوفاً أنْ يغلبَ على الدولة. فمضى بجكم لما مُنِعَ من الحضرة إلى واسط إلى محمد بن رائق وكان مُقيما بها فأدناه وحيّاهُ ...، وقويَ أمرُ بجكم وإصطنع الرجال وضعف أمرُ إبن رائق ...)).

يظهرُ أن العام 323 الهجري كان عاماً حاسماً بالنسبة لمحمد بن رائق. ففيه يصمد أمام رجلين قويين خطرين هما مرداويج الديلمي وبجكم التركي.

يذكر المسعودي (5) أنَّ إبن رائق إختفى بعد أن ضَعُفَ أمرهُ أمام بجكم التركي. وإذ قد خلا الجو لهذا ينجح في الوصول إلى حضرة الخليفة الراضي بالله ثم يرافقه في خروجه إلى ديار بني حمدان وديار ربيعة من بلاد الموصل لقتال الحسن بن عبد الله ناصر الدولة الحمداني أمير الموصل.

ما سبب وجود محمد بن رائق في واسط ؟؟ ألقتال البريديين الذين ثاروا في البصرة وإمتدتْ ثورتهم حتى واسط ومن ثم إشتدَّ أمرهم مع بداية خلافة المتقي ؟؟؟

يبدو أن إختفاء إبن رائق من أمام بجكم التركي كان أمرَ خطةٍ مدروسة جيداً، وهو الذي يُجيد وضع خطط الحرب كرّاً وفرّاً، وهو القائد الشجاع والمتمرس وذو العقلية العسكرية (الستراتيجية) بلغة زماننا. فما أن عرف بخروج الخليفة وبجكم من بغداد متجهين صوب الموصل حتى باغتَ أهلها بدخوله دخول القائد المُظفّر ((ومعاونة الغوغاء له)) فيسير إلى دار السلطان (الخليفة الراضي) ويقتلُ شخصا إسمه إبن بدر السيرافي. ثم يخرج من الحضرة ويتجه إلى ديار مضر يقود جيشاً من الجبل ومن أنصاره القرامطة تحت قيادة عُمارة القرمطي ورافع القرمطي الذي سبق له وأن إستدرج في فخ محكم الديلمي مرداويج ثم ألقاه مُقيّداً في نهر الفرات حين قصد هذا الرِقّة لقتال إبن رائق كما رأينا سابقاً.

لماذا يُسيّرُ إبن رائق مثل هذا الجيش إلى ديار مُضر وينزل الرقة ثم يتجه نحو جند قنسرين والعواصم في حين كان الخليفة الراضي وبجكم التركي في بلاد الموصل القريبة منها ؟ وقائع التأريخ تقول إنَّ إبن رائق قد سعى إلى إخراج طريفاً السُكّري من جند قنسرين والعواصم ليتولى هو أمرالثغر الشامي. ليس واضحاً من الذي قام بقتل طريف السُكّري سنة 328 هجرية. هل قتله إبن رائق في حملته هذه ، أم قتله غيره في مناسبة أخرى؟

هل كان طريفٌ هذا والياً للإخشيديين على بلاد الشام ؟

معارك إبن رائق كما يُثبّتها المسعودي مع الإخشيديين تُرجّح هذا الإحتمال. يقول المسعودي عن إبن رائق (5) :

((... ومحاربته الإخشيد محمد إبن طَغَج بالعريش من بلاد مصر وإنكشافه ورجوعه إلى دمشق وما كان من قتله لأخي الإخشيد محمد إبن طغج باللجون من بلاد الأُردّن, ما كان قبل وقعة العريش بينه وبين عبد الله إبن طغج وما كان معه من القوّاد ...)).

3 - 2 // في زمن الخليفة العباسي المتقي لله (329 - 333 للهجرة)

قُتِلَ بجكم التركي في رجب من عام 329 ...ربّما خلال إضطرابات الأكراد في واسط أو من قِبَل كورتكين الديلمي الذي إستولى على جيشه.

وعلى أثر مقتل بجكم التركي ينحدر إبن رائق من بلاد الشام ويحاربُ كورتكين في عكبرا، ثم يُخاتله ويدخل الحضرة وتقع بينهما معركة بالحضرة ينهزم كورتكين فيها فيستولي إبن رائق على الأمر. ثم إنَّ البريديين يدخلون الحضرة فيُضطَرُ الخليفةُ المتقي إلى الخروج مع إبن رائق منها.

البريديون

من هم البريديون وما أصل تسميتهم بالبريديين ؟؟

يقول " المُنجِد في الأعلام واللغة " (6) :

((البريدي : إسم لثلاثة إخوة كان أبوهم صاحب البريد في البصرة. لعبوا دورا خطيراً على أيام المُقتَدِر وخُلفائه (أي الخلفاء الذين جاءوا بعده). حاربهم إبن رائق " أمير الأمراء " دون جدوى. حاربوا مُعِزّ الدولة البويهي فطردهم من البصرة. أكبرهم أبو عبد الله أحمد (توفي في 333 هجرية - 945 م) وكان عاملا على الأهواز فجمع ثروةً طائلة في وزارة إبن مُقلة. إغتالَ أخاه أبا يوسف يعقوب سنة 943 م. أما الأخ الثالث أبو الحسين فقد أُعدِمَ في بغداد سنة 945 م)).

فهل هناك من صلة بين هؤلاء البريديين الثلاثة وأحد وزراء الخليفة الراضي بالله المُسمّى " أبو عبد الرحمن بن محمد البريدي " (7) ؟؟

ثم يذكر المسعودي (8) في معرض من قال في شعر القصائد المقصورة : ((... منهم أبو القاسم علي بن محمد بن داود بن فهم التنوخي الإنطاكي، وهو في وقتنا هذا - وهو سنة 332 هجرية - بالبصرة في جملة البريديين ...)).

لقد إستمرت ثورات وعصيانات البريديين قرابة الأربعين عاماً وتمردوا وشقّوا عصا الطاعة على ستة من خلفاء بني العباس وهم المقتدر والقاهر والراضي والمتقي والمستكفي ثم المطيع لله. بدأوا أول عصيانهم في زمن الخليفة المُقتدر (295 - 320 هجرية) وإستمرت حروبهم مع جيوش الخلافة حتى أيام الخليفة المُطيع لله (334 - 363 هجرية) تشبُّ حيناً وتخفتُ أحيانا.

فما سبب هذه الثورات وإلى أي أمر كانوا يطمحون وهل كان لديهم مشروع واضح وبرنامج يتحركون في ضوئه ؟؟ وكيف إستطاعوا أن يجمعوا حولهم جموعا غفيرةً من الناس مكّنتهم من السيطرة على البصرة ومن بسط نفوذهم حتى واسط بل ودخولهم الحضرة في بغداد نفسها، الأمر الذي أدى إلى خروج الخليفة المتقي عنها ومعه قائده إبن رائق ؟؟ لم أجدْ أجوبةً على هذه الأسئلة فيما لديَّ من مصادر محدودة.

فهل كانوا قرامطة أو كانوا مع القرامطة ؟؟.

لقد ذكر المسعودي (9) خبر دخول (صاحب البحرين) البصرة في أول يوم من المحرّم سنة 301 هجرية في خلافة المقتدر. فهل كانوا يُنسِّقون مع صاحب البحرين القرمطي أو لا علاقة لهم به ؟؟ غير أنَّ صاحب مروج الذهب (2) يقول إنَّ جيش السلطان (الخليفة المتقي) الذي زحف لقتال البريديين في البصرة كان يضمُّ نفراً من القرامطة. القرامطة، أو نفرٌ منهم، إذن كانوا يقاتلون البريديين.

هل كانوا من أصحاب الداعي الحسني الذي إنشق على مركز الخلافة وإستولى على طبرستان ردحاً من الزمن قبل مصرعه هناك ؟؟

سأنقلُ حرفياً ما قال المسعودي (2) حول أمر البريديين زمن الخليفة المتقي لله :

((وإشتدَّ أمرُ البريديين بالبصرة ومنعوا السفن أنْ تصعد وعظُمَ جيشهم وكثُرَتْ رجالهم وصار لهم جيشان : جيش في الماء ... وجيش في البر عظيم. وإصطنعوا الرجال وبذلوا الرغائب فإنضاف إليهم حجرية السلطان وغلمانه.

رؤية

الميتاشعرية... في ديوان (يقول النهر أنت أبني) للشاعر فارس مطر

مراد سليمان علو

يتناول صديقي الشاعر المغترب فارس مطر موضوع الشعر نفسه في معظم قصائد ديوانه الجديد (يقول النهر أنت أبني)، وهذا ابداع في تناول طبيعة القصيدة نفسها داخل القصيدة كفن يقوم الشاعر بنوع من التأمل والرؤية حول النصّ، ويشرح تأثيره بإبداعه الميتاشعري. وهو بذلك يظهر نفسه قائلا: هاأنذا بأدواتي أبين لكم تأثيري عليكم.

الشاعر في قصائده يعي ويتأمل مكانته ودوره كمبدع وكناقل للأفكار والمشاعر. يناقش الشاعر في هذه القصائد طبيعة الشعر وكيف يمكن له أن يتجاوز الحدود التقليدية للغة والتعبير الفني.

يمكن القول إن الخطاب (الميتا شعري) أصبح علامة فارقة على ازدياد وعي الشعراء، بما يكتبونه ويقترحونه من صيغ وممكنات جمالية. والشاعر فارس مطر يقدم ديوانه باعتباره مشروع كتابة يجسد تفكيره فيما يكتبه من الداخل.

صار (الميتا شعر) أحد وجوه الحداثة الشعرية في بعدها المعرفي إضافة الى الفني، فهو يعكس الانشغال النظري لدى الشاعر المعاصر، ومعرفته الشعرية، وكذلك وعيه النقدي الذاتي بأسئلة الشعر الجديد والمتجدد على الدوام، وأخذ يتجلى بقوة في الاستبطان الشعري والوعي الذاتي اللذين من خلالهما يعبر عن التزامه الفني وانشغاله بموضوع الشعر نفسه؛ فيكون الشعر ـ نتيجة ذلك ـ هو موضوع القصيدة، في حالات عند بعض الشعراء الا أن الشاعر فارس مطر يجعلها مفتاح لباب من عدة أبواب تحتويها قصيدته، والمثير هو بذلك يستخدم (الميتا شعرية) كأداة من أدواته المتعددة في بناء القصيدة وطرح أفكاره من خلالها.

لا يخفى أن تطور خطاب (الميتا شعر) في الدراسات الحديثة تكمن بوصفه شكلا من أشكال المساءلة الشعرية، وبالحركات الطليعية عموما، بما في ذلك حركة الشعر الحر في الفضاء العربي.

يقول الشاعر والناقد المغربي (عبد اللطيف الوراري):

"إنّ أبرز خاصية يتحدّد بها (الميتا شعر)، هو أنّه يجعل من القصيدة نصّا، وميتا نصّ في آن: شعر على شعر، وشعر عن شعر في تأويل آخر. وقد شكل منعطفا حاسما لبروز الوعي الذاتي عند الشعراء ورغبتهم في التجاوز والتحديث الشعري، فيما يسوقونه من تأمُّلات وحدوسات وشذرات داخل قصائدهم".

أذن بصورة مبسطة، وبعيدا عن المصطلحات الأدبية والفلسفية يمكن القول إن (الميتاشعرية) مصطلح يشير إلى التنظير، أو الوصف، أو الكلام على الشعر ضمن إطار العمل الشعري نفسه. ويقال يرجع تاريخ الكتابات (الميتاشعرية) الى العصر اليوناني، أي انه قديم قدم الشعر نفسه.

وفي معظم نصوص ديوان (يقول النهر أنت ابني) ـ أي النصوص التي تحتوي على ثيمة الميتاشعر ـ يضع الشاعر فارس مطر نفسه تحت المجهر فيتفحص مصادر إلهامه ومخاوفه وآماله وتصوراته حيال الكتابة الشعرية.

نجده يقول في بداية قصيدته الأولى (فلنبدأ):

أؤمن بامرأة في جهة الأصداء الآن
تعدّ قصيدتها بتأن..
كالبن صباحا...

المرأة هنا تمثل مصدر إلهام للشاعر، والقصيدة نفسها هنا تصبح رمزًا لهذا الحب والإلهام. النص يخلق تأثيرًا دافئًا ورومانسيًا مباشرا، مما يعزز من جمال العلاقة، فمن منا من معشر الشعراء لا يرغب بوجود امرأة في حياته تكون شاعرة مثله، تكتب قصائد دافئة كالقهوة التي تعدها في الصباح، من منا لا يحب قهوته أو شايه ـ بالنسبة للعراقي ـ دافئا يشبه دفء صدرها.

أرجو أن تنتبه بأنني في هذه القراءة المتواضعة، عن ثيمة (الميتاشعرية) أتناول فقط المقطع الذي يحتوي على (الميتاشعر) دون القصيدة كلها، وهذه دعوة لاقتناء الكتاب والاطلاع على تلك القصائد المبهرة بأكملها.

في القصيدة الثانية والتي اسمها (داست قدمي) ـ تأمل عنوان النصّ ـ يقول شاعرنا:

...سأنسيك قصائدك المقتولة
سوف تشيخ وتنساها..
تسأل عنها لكنك لا تعرفها
ولمن كتبت؟
في أي مكان.. ومتى؟...

يعبر الشاعر عن حالة من النسيان المتكرر "سوف تشيخ وتنساها" و"تسأل عنها لكنك لا تعرفها". هذا التكرار يعزز الشعور بفقدان القصائد والنسيان. مع الاهتمام بالتعبير المجازي عندما يقول "سأنسيك قصائدك المقتولة" وكأن قصائده تم إهمالها أو نسيانها، وكأنها قتلت. وكذلك يعكس في هذا المقطع حالة من الضياع حيث يبحث عن قصائده "تسأل عنها لكنك لا تعرفها" دون أن يتذكر التفاصيل.

بصورة عامة استخدام الصور الغامضة والأسئلة المفتوحة يعزز من شعور المتلقي بالغموض، مما يجعل النص أكثر تأثيرًا وعاطفيًا، وهذا يؤكد قولنا: (الميتاشعرية) قد تكون وسيلة ناجحة في فرض تأثير مباشر أو غير مباشر من قبل الشاعر على القارئ.

سأنتقل الى قصيدة (هدأة) في الصفحة (29) وسأدرج القصيدة كاملة، وربما عند قراءتها ستدرك السبب، هذه القصيدة، وكما هو واضح من الملاحظة المدونة التي تحت عنوانها: (مستشفى الحوادث ـ برلين في العشرين من ديسمبر (2020)) أقول: من الواضح أنها كتبت وقت رقوده في المستشفى أثر أصابته بحادث، أو بـ (كوفيد 19).

أغنيات تمهد درب الغياب
لعل القوارب تؤنس نهرك
تحمل هذا الضياء لباب المحيط
وتلقي مجاذيفها
فضة وفضاء
رصاصية غرفتي
بارد طعمها يتكور تحت لساني
نصوصي تجمُدُ
وجهي تكسّر
أسلاك صدري صدمة برقٍ تريني غيومي
وينبض هذا المساء أخيرا
يحيط الفراغ بخاصرتي
أوكسجين يحاول تأنيث عش القصيدة
وعيٌ يجالسني
ودمائي تحركها أبرة الفخذ
تفتح مرجا هضابا وغابة
لتسري الأيائل في جسدي
تستقر القراءة والزئبق المتكاسل

قال الممرض:
ضغطك سرب أوزٍ يحط
ويجفل من قلق الريح
أصغي اليه بدون حراك
ليملأ روحي مجاز الرفيف
تقول الطبيبة:
ثلج يغطي الحديقة
هل دثرتك القصيدة يوما
فبان الهديل بأول ليلك؟
أصغي اليها بدون حراك
وأترك ذاتي يقشرها غامض أبيض
نغمات تحذر أن القصيدة غابت
وأن التنفس صار أقل
فتصعقني لتعود الأغاني
وتوحي الي تنفس بملء الحقول
تنفس لتكتب دربا وغيمة
أعود لوعيي فتسألني:
هل مشيت على الماء حين اتبعت الكركي
وتلك البحيرة هل كلمتك؟
فأصغي اليها دون حراك
لينهض مني طيف شبيه بشكلي مصاب بمس
يحلق فوقي يدور ويهذي ويصرخ فيّ تنفس تنفس
أعود لوعيي
سنونوتان ترف بصدري تعيدان حلمي
أعيد التورط بالأغنيات وبالكلمات.. بوهم الحياة
بوجه بعيد يسمى قصيدة.

النص يعبر عن تجربة الشاعر في المستشفى، وهذا يعني للظروف الصحية تأثير على ابداع الشاعر، بل على الشاعر نفسه. وربمّا لذلك يستخدم الصور الشعرية البليغة، والاستعارات لتجسيد المعاناة، وهو بذلك يبحث عن الإلهام رغم الألم. الشعر هنا ليس مجرد وسيلة تعبير، بل هو طريقة للصبر وملاذا، وكذلك وسيلة للتغلب على الألم والبحث عن المعنى في الظروف الصعبة.

وكأن النص يعكس فلسفة نيتشه في استخدام الفن كوسيلة للتجاوز والتغلب على المعاناة؛ ولشدة أعجابي وتعلقي بفلسفة نيتشه أدرجت النص كاملا، فهذا يذكرني برقودي في المستشفى وكتابة قصيدة رغم خضوعي لأجراء عملية جراحية كبرى. أخيرا أرى رغم التوتر الداخلي، النص بحد ذاته تأمل في طبيعة الكتابة الشعرية في تجربة المرض والرقود في المستشفى.

الديوان يتضمن أربعة وثلاثون (34) نصّا، أضافة الى قراءة ممتعة لـ د. أحمد شهاب بعنوان (فارس مطر ذلك الكائن المائي). وأغلب النصوص تتضمن تناوله (للميتاشعر)؛ خمسة عشر (15) نصا بالتمام والكمال، وهي نسبة تعادل نصف الديوان تقريبا، لذلك ارتأيت تناول الجزء الخاص (بالميتاشعر) من تلك النصوص والتعليق عليها، حسب أعجابي وامكانياتي على التعبير، فأنا لست بناقد فني للشعر، وانما قارئ متذوق، وحسب تسلسل وورودها في الكتاب.

... راقصة قالت:
أتقنت سطوري موتا موتا
لا يربكني حقل الألغام
فلا تكتب نصّا دون غيابك.

هذا النص الصغير في الصفحة (42) المكون من أربعة أسطر من قصيدة (جسدي طيني) يتناول فيها الشاعر الصراع الداخلي الذي لا يمنعه من الأبداع (معظم النصوص في هذا الشأن الموجودة في الديوان نتلمس فيها صراعا داخليا، ربما نتيجة ضغوطات الغربة) من خلال استخدام الصور المجازية والتشبيهات القوية. وهي رؤية وطريقة لكيفية أن تكون الكتابة وسيلة للتعبير عن وجود الذات.

ويمكن أن نرى الشيء نفسه في قصيدة (فصل أخير) في الصفحة (49) مع إضافة حالة من الانتظار لنزول الألهام الشعري حين يقول:

... أقول لنارنجة من بعيد تدلي
لعل القصيدة تأتي أخيرا
وأسقط قبلك هذا المساء...

أما في (في رئتي أغنية) يقول الشاعر:

... سأظل منتظرا هواء قصيدة
قتلوا احتمال حضورها..

هنا الانتظار هو المتسيد على الموقف، انتظار الألهام، انتظار القصيدة، لتكون ملاذا أن حضرت!

لنقفز الى الصفحة (73) حيث قصيدة (يقول النهر أنت أبني) وهي التي عنوان الديوان، يذكر الشاعر فارس مطر:

... قصيدتك التي قتلتك قد تحييك ثانية
كما انفعلت قصائدنا...

النص يعبر عن قوة الشعر، وهي على الشاعر أقوى من الموسيقى أو من لوحة فنية أو فلم سينمائي أوى من تأمل الطبيعة، فهي قد تحييه بعد أن تسببت بقتله، لذلك نرى في التراث الديني لمعظم شعوب العالم تتبوأ القراءة المفاهيم الأخرى، بل أول كلمة من القران الكريم هي: أقرا. قد تقلق من استخدامه كلمة (انفعلت) بدلا عن فعلت، وهي أي انفعلت تعني الرغبة في التركيز على التفاعل العاطفي والانفعالي مع النصّ.

... تلتقطُ نُصوصا غارقة
لا تصلح للنشر
لأن الرائي هشَ على الغيم
فغاب عن الوعي
وغبت أنا في لغتي.

من قصيدة (أركب حافلة) في الصفحة (80)، ونلاحظ فيها أيضا علاقة الشاعر باللغة، وكيف يمكن أن تكون نتاج وعي عالي لغرض استخراج أفكار عميقة تأسيسا على (الميتاشعرية)، بغض النظر عن الواقع.

ثلاثة مقاطع تناول فيهم الشاعر ثيمة (الميتاشعر) من القصيدة التالية، والتي بعنوان (بابلو نيرودا) بدايتها في الصفحة (81):

... منذ عقود وأنا أمشي
زمني في وجهي يتكسر
مسودات لقصائد تنبت في جيبي.. تشربني
تشرب صوتي...
.....
.....
إيقاع يحملني للأعلى
والأعلى وهم شعري...
.....
.....
قمم فارغة تقطف صمتا..
تسقط جوزا وحوارا من ثوب قصيدتها
وتعيد غناء الجبل الحالم حجلا حجلا...

القصيدة بعنوان (بابلو نيرودا) الشاعر الشيلي المعروف (1904 - 1973) والحائز على جائزة نوبل. مرة قال بابلو لأفراد الشرطة الذين كانوا يفتشون منزله للبحث عن الأسلحة:

"الشعر هو السلاح الوحيد الذي أمتلكه"!!! فهل أختار الشاعر فارس مطر اسم بابلو نيروا عنوانا لأحدى قصائده ليقول لنا بدوره بأنه لا يملك غير الشعر سلاحا؟

وهنا أرى أن الشاعر يذهب بعيدا في تقديمه (للميتاشعر) كجزء لا يتجزأ من لوحاته، يتمازج بجرأة مع القصيدة، حيث ترجع القصيدة وتكون نفسها بنفسها في عمل دائري، حيث يختلط الوهم مع الشك، ومع الحقيقة باتجاه معاكس للحياة نفسها، وكأننا نشاهد حلقة من المسلسل الألماني المثير للجدل (D ARK).

تتمة / يتبع في العدد القادم 94

أربع قصائد... من القريب البعيد

ايفان علي عثمان

فاسي ...

تكتكات ثقب
وزن جهة
مقاس قيح ممر
متاهة قمع متلاش
تمرين صيد ينحل
فخ مستقبلي
لملعب تجريب فالق
كزر زاوية
ريشة طلل
على سرير السطح
فاسى
منشار
انخاب بريد
شفرة
مسارب طابع

كورو ...

بالترتيب الغرابي
يضمحل
كصدأ سكين الشعر
غير قطيعي
على وشك عبور بوابة ذرية
ينتهي في هذه الاتجاهات
سنديانات القصيدة
كورو
مراسم السكون

ثوريتا ...

لحجز قعر
لأوعيتك المرآتية
أو
لصنع إيقاع موعد
لغربان التحول
ثوريتا
إقلاع شق
من
قناع متجول

ليليس ...

خامل
ملحوظ
محفز
تقاطع أوتار
وجهة الحر
تحتها
خرقي
حدودي
فترات القطع المثالي
ليليس
القطع المطبوعة
تتخيله
لب قناعي
منحنيا
مقسما
متخفيا

تحوّلاتُ طاووس البحرِ

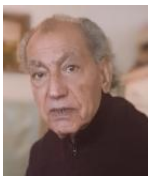

د. عدنان الظاهر

طاووسُ الحُزنِ يُبدِّلُ ألوانا
صيفاً وشتاءً أحيانا
يا صاحبَ هذا الطبعِ المخلوطِ لُبانا
جَرِّبْ وقفَ الضجّةِ في رأسِ اليقظانِ
يحلمُ أنْ يَمسِكَ شمساً في كفٍّ طيفا
يمنعَ مجرى ما يجري
خوفاً من أملٍ في وصلِ
البحرُ جميلُ
حانَ أوانُ الدهشةِ في الإقلاع
الصاري عالٍ
واللّهبُ المستعصي بِركانُ
يتقلّبُ لوناً مشحوناً غضبانا
والليلُ يوازي خطّاً في الوهمِ
سارِعْ واقلعْ
دربُ الهجرةِ مُنشقُّ الأطرافِ
طُرقٌ تأخذُ إبحاراً صعبا
أخرى تسري في الجمرِ
طاووسُ الهجرةِ رَبانُ
يحملُ عينيْ لونِ الصبرِ
ويُشيرُ كقائدِ ميدانِ
هيّا لتخومِ الكافورِ المسجورِ دقيقا
نجمٌ دانٍ وقطوفٌ تحني رأسا
للحاملِ في نصلٍ همّا
يندى من خضٍّ في سعفِ النخلِ
يفتحُ للغارقِ في اللُجّةِ بابا
عطشى، يسترخي إسرافا
خاضَ اللُجةَ قبلَ قيامِ الصاري
ليُعيدَ الغارقَ حيّا
يدعو أنْ قوموا سمتا
القِرشُ قبيلةُ وحشٍ ضارِ
نامَ وضلَّ طريقا
وصحا منتَكِساً نعشاً في رأسِ الرَبّانِ.

قراءات فكرية..

كلمة بابلو نيرودا
اثناء حيازته جائزة نوبل فى الأدب 1971

2-1

د. إشبيليا الجبوري
اختيار وإعداد

ت: من الإسبانية أكد الجبوري

"مرحبا القراء! وفي هذه المناسبة سوف نتذكر أحد أهم رواد الأدب الأمريكي اللاتيني في القرن العشرين. أقصد هنا للشاعر بابلو نيرودا (1904 -1973) (كما قال ماريو أموروس في كتابه "نيرودا أمير الشعراء"). عن الوقت الذي حصل فيه على جائزة نوبل للآداب عام 1971. لذلك قررت أن أشارككم الخطاب المختصر للتشيلي الذي غزا العالم بشعره هيا نقرأ! "

- أسطورة نيرودا؛

هناك العديد من الفرص التي جعلت من بابلو نيرودا كاتبا ذا خبرة واسعة في فن الشعر واستحق العديد من الجوائز، إضافة إلى تفضيله من قبل نقاد الأدب الوطنيين والأجانب.

منذ صغره، حصل نيرودا على التقدير لبراعته وفاز بجوائز عن قصائد مثل "الصلة المثالية"()، و"تحية للملكة"() و"أغنية الحفلة"(). في عام 1944 حصل على جائزة الشعر البلدية لمدينة سانتياغو(). وفي العام التالي، تم انتخابه عضوًا في مجلس الشيوخ عن جمهورية تاراباكا وأنتوفاجاستا.

- جائزة نوبل في الأدب؛

على الرغم من مسيرته المهنية الرائعة، إلا أن أعظم إنجازات بابلو نيرودا وتميزه جاء في عام 1971 عندما حصل، بصفته سفير تشيلي في فرنسا،() على جائزة نوبل للآداب، وبذلك أصبح ثاني كاتب من الدولة الجنوبية يحصل على الجائزة(). دعونا نتذكر أن الشاعرة التشيلية غابرييلا ميسترال (1889 -1957) قد حصلت عليها بالفعل من قبل.

أُعلن عن خبر فوزه بالجائزة في 21 أكتوبر 1971()، إلا أنه سيحصل على الجائزة التي طال انتظارها في 10 ديسمبر من ذلك العام من الملك غوستاف أدولفوس.

والآن أيها القارئ، دون مزيد من اللغط أتركك مع خطاب بابلو نيرودا.

- خطاب بابلو نيرودا عام 1971؛

في الخطاب الذي ستقرأونه أدناه، يعتذر بابلو نيرودا عن شعر ملتزم مرتبط بالإنسانية؛ ويحكي لنا عن شعر منعزل عن كل ادعاء من شأنه أن يؤله الشاعر وعمله، ويبعده عن المجتمع. ثم نواجه شعرًا أقرب إلى واقع العالم، ولهذا السبب يُذكر نيرودا كثيرًا في أعماله.

- خطاب بابلو نيرودا عند استلامه جائزة نوبل للآداب)؛

سيكون خطابي بمثابة رحلة طويلة، رحلة لي عبر المناطق البعيدة والمتضادة، التي لا تقل تشابهًا مع مناظر الشمال وعزلاته. أنا أتحدث عن الطرف الجنوبي من بلدي. نحن التشيليون نبتعد كثيرًا حتى نلامس القطب الجنوبي بحدودنا، والذي يبدو لنا مثل جغرافية السويد، التي تمس شمال الكوكب الثلجي برأسها. هناك، عبر تلك الامتدادات من وطني حيث قادتني الأحداث المنسية في حد ذاتها، كان علي أن أعبر، كان علي أن أعبر جبال الأنديز بحثاً عن حدود بلدي مع الأرجنتين.

- ستوكهولم (السويد، 1971)؛

تغطي الغابات الكبيرة المناطق التي يتعذر الوصول إليها مثل النفق، وبما أن طريقنا كان مخفيًا ومحظورًا، فقد قبلنا فقط أضعف علامات التوجه. لم تكن هناك آثار أقدام، ولم

تكن هناك مسارات، وقمنا مع رفاقي الأربعة على ظهور الخيل بالبحث في موكب متموج، وأزلنا عوائق الأشجار القوية، والأنهار المستحيلة، والصخور الهائلة، والثلوج المقفرة، وتخمين بالأحرى مسار حريتي. أولئك الذين رافقوني كانوا يعرفون التوجه، والاحتمال بين أوراق الشجر الكبيرة، ولكن ليشعروا بأمان أكبر، امتطوا خيولهم، وسموا لحاء الأشجار الكبيرة بالمنجل هنا وهناك، تاركين آثار أقدام ترشدهم في العودة، عندما يتركونني وحيدًا مع مصيري. كل واحد منهم يتقدم مستغرقًا في تلك العزلة بلا هوامش، في ذلك الصمت الأخضر والأبيض، والأشجار، والكروم الكبيرة، والدبال المتراكم منذ مئات السنين، والجذوع نصف المقطوعة التي فجأة. كانت عائقًا آخر في مسيرتنا. كان كل شيء ذا طبيعة مبهرة وسرية في الوقت نفسه، وفي الوقت نفسه كان هناك تهديد متزايد بالبرد والثلج والاضطهاد. كان كل شيء مختلطًا: الوحدة، والخطر، والصمت، وإلحاح مهمتي، كنا نتبع أحيانًا أثرًا رفيعًا للغاية، ربما تركه المهربون أو المجرمين العاديين الهاربين، ولم نكن نعرف ما إذا كان الكثير منهم قد لقوا حتفهم فجأة. بسبب الأنهار الجليدية في فصل الشتاء، بسبب العواصف الثلجية الهائلة التي عندما تنطلق في جبال الأنديز، تغلف المسافر وتغرقه تحت سبعة طوابق من البياض. على كل جانب من جوانب الأثر رأيت، في ذلك الخراب البري، شيئًا يشبه البناء البشري. كانت قطعًا من الأغصان المتراكمة التي تحملت فصول شتاء عديدة، قربانًا نباتيًا من مئات المسافرين، تراكمات طويلة من الخشب

↓

تخليدًا لذكرى الذين سقطوا، لتجعلنا نفكر في أولئك الذين لم يتمكنوا من الاستمرار وبقيوا هناك إلى الأبد تحت الثلج. كما قطع رفاقي بمناجلهم الأغصان التي لامست رؤوسنا والتي نزلت علينا من أعالي الصنوبريات الهائلة، من أشجار البلوط التي كانت آخر أوراقها تخفق قبل عواصف الشتاء. كما تركت في كل كومة ذكرى، بطاقة خشبية، غصنًا مقطوعًا من الغابة لتزيين قبور واحد أو آخر من المسافرين المجهولين.

كان علينا عبور النهر. تندفع تلك الينابيع الصغيرة التي تولد في قمم جبال الأنديز، وتطلق قوتها المدوخة والساحقة، وتتحول إلى شلالات، وتكسر الأرض والصخور بالطاقة والسرعة التي جلبتها من المرتفعات الشهيرة: ولكن في ذلك الوقت وجدنا مياهًا راكدة، مرآة عظيمة لـ الماء، فورد. دخلت الخيول وفقدت أقدامها وسبحت نحو الضفة الأخرى. وسرعان ما غمرت المياه حصاني بالكامل تقريبًا، وبدأت أتأرجح دون دعم، وكافحت قدماي على الأرض بينما كافح الوحش للحفاظ على رأسه في الهواء. لذلك نعبر. وبمجرد وصولنا إلى الشاطئ الآخر، سألني الباكيانوس، الفلاحون الذين رافقوني بابتسامة معينة: هل كنت خائفًا جدًا؟ -كثيراً. قلت: "اعتقدت أن ساعتي الأخيرة قد جاءت". - كنا نلاحقك واللاسو في أيدينا - لقد أجابوني. وأضاف أحدهم: "هناك، سقط والدي وجرفه التيار". لم يكن ليحدث معك نفس الأمر، واصلنا السير حتى دخلنا نفقًا طبيعيًا ربما فتح نهرًا ضائعًا عظيمًا في الصخور المهيبة، أو رجفة الكوكب التي نظمت ذلك العمل في المرتفعات، تلك القناة الكهفية من الحجر المهشم. ، من الجرانيت الذي قمنا بالتكوير فيه. بعد بضع خطوات، كانت الخيول تنزلق، وتحاول الاستقرار على الصخور غير المستوية، وكانت أرجلها ملتوية، وانفجرت الشرر في حدوات الخيول: وجدت نفسي أكثر من مرة مرميًا من الحصان ومستلقيًا على الصخور. كان الحصان ينزف من أنفه ورجليه، لكننا واصلنا بعناد السير على الطريق الواسع والرائع والصعب. هناك شيء ينتظرنا في وسط تلك الغابة البرية. وفجأة، مثل رؤية فريدة، نصل إلى مرج صغير مصقول يقع في حضن الجبال: مياه صافية، ومرج أخضر، وأزهار برية، وغمغمة الأنهار والأشجار. سماء زرقاء في الأعلى، ضوء سخي غير متقطع بدون أوراق الشجر. هناك توقفنا كما لو كنا داخل دائرة سحرية، مثل ضيوف منطقة مقدسة: وكان الحفل الذي شاركت فيه أكثر إزعاجًا. نزل رعاة البقر من خيولهم. في وسط السياج، كما هو الحال في الطقوس، تم وضع جمجمة ثور. اقترب رفاقي بصمت، واحدًا تلو الآخر، ليتركوا قطعة نقود وبعض الطعام في ثقوب العظام. انضممت إليهم في ذلك العرض المخصص لأوليسيس الضائع الوقح، للهاربين من جميع المشارب الذين سيجدون الخبز ويساعدون في مدارات الثور الميت. لكن الحفل الذي لا ينسى لم يتوقف عند هذا الحد. خلع أصدقائي الريفيون قبعاتهم وبدأوا رقصة غريبة، وقفزوا على قدم واحدة حول الجمجمة المهجورة، متتبعين البصمة الدائرية التي خلفتها رقصات كثيرة للآخرين الذين عبروا هناك من قبل. لقد فهمت حينها بشكل غير دقيق، إلى جانب رفاقي الذين لا يمكن اختراقهم، أن هناك اتصالاً من غريب إلى غريب، أن هناك طلب وطلب واستجابة حتى في أبعد وأبعد عزلات هذا العالم.

بعيدًا، وعلى وشك عبور الحدود التي ستفصلني عن وطني لسنوات عديدة، وصلنا ليلًا إلى آخر مضيق الجبال. فجأة رأينا ضوءًا كان علامة أكيدة على وجود سكن بشري، وعندما اقتربنا، وجدنا بعض المباني المتهالكة، وبعض السقائف المتهالكة التي بدت فارغة. دخلنا إلى إحداها ورأينا في حرارة النار جذوعًا كبيرة مشتعلة في وسط الغرفة، وأجسامًا لأشجار عملاقة تحترق هناك ليلًا ونهارًا، وتسمح للدخان بالخروج من خلال شقوق السقف التي تجولت في الغرفة. الغرفة وسط الظلام مثل الحجاب الأزرق العميق. ورأينا أكواماً من الجبن تراكمت لدى من تخثرها على تلك المرتفعات. بالقرب من النار، متجمعين مثل الأكياس، كان يرقد بعض الرجال. في الصمت ميزنا أوتار الجيتار وكلمات أغنية ولدت من الجمر والظلام، أتت لنا بأول صوت بشري التقيناه على الطريق. كانت أغنية حب وبعد، رثاء حب وحنين موجه نحو الربيع البعيد، نحو المدن التي أتينا منها، نحو فضاء الحياة اللامتناهي.

لم يعرفوا من نحن، ولم يعرفوا شيئًا عن الهارب، ولم يعرفوا شعري أو اسمي. أم أنهم يعرفونه، هل يعرفوننا؟ الحقيقة هي أننا بجانب تلك النار كنا نغني ونأكل، ثم مشينا عبر الظلام باتجاه بعض الغرف الأولية. كان يمر عبرها تيار حراري، ماء بركاني حيث انغمسنا فيه، حرارة تأتي من سلاسل الجبال وترحب بنا في أحضانها.

نحن نتجول بسعادة، ونحفر أنفسنا، ونزيل ثقل الموكب الضخم. شعرنا بالانتعاش، والولادة من جديد، والتعمد، عندما بدأنا فجرًا آخر كيلومترات من الرحلة التي ستفصلني عن كسوف وطني ذلك، انطلقنا بعيدًا نغني على خيولنا، مملوءًا بهواء جديد، نفسًا دفعنا إلى الطريق العظيم للعالم الذي كان ينتظرني. عندما أردنا أن نعطي متسلقي الجبال (أتذكر ذلك بوضوح) بعض العملات المعدنية كمكافأة على الأغاني، على الطعام، على الينابيع الساخنة، على السقف والأسرة، أي على الحماية غير المتوقعة التي جاءت في طريقنا، لقد رفضوا عرضنا دون لفتة. لقد خدمونا ولا شيء أكثر من ذلك. وفي ذلك "لا شيء أكثر" في ذلك اللاشيء الصامت، كانت هناك أشياء كثيرة مفهومة، ربما التعرف عليها، وربما الأحلام نفسها.

السيدات والسادة:

لم أتعلم من الكتب أي وصفة لتأليف قصيدة: ولن أترك مطبوعة بدورها ولو نصيحة أو أسلوبًا أو أسلوبًا حتى ينال مني الشعراء الجدد قطرة من الحكمة المفترضة. إذا كنت قد رويت في هذا الخطاب أحداثًا معينة من الماضي، وإذا كنت قد أحيت قصة لا تُنسى في هذه المناسبة وفي هذا المكان مختلفة تمامًا عما حدث، فذلك لأنني على مدار حياتي وجدت دائمًا في مكان ما ما هو ضروري التأكيد، الصيغة التي كانت تنتظرني، ليس لتقوية كلماتي بل لشرح نفسي.

وفي ذلك اليوم الطويل وجدت الجرعات اللازمة لتكوين القصيدة. هناك أعطيت لي مساهمات الأرض والروح. وأعتقد أن الشعر هو عمل عابر أو مهيب تدخل فيه الوحدة والتضامن، والشعور والفعل، والحميمية مع الذات، والحميمية مع الإنسان، والكشف السري عن الطبيعة في أزواج محسوبة. وأعتقد بإيمان لا يقل أن كل شيء مستدام، الإنسان وظله، الإنسان وموقفه، الإنسان وشعره في مجتمع متزايد الاتساع، في تمرين سيدمج الواقع والأحلام فينا إلى الأبد، لأنه في مثل هذا الطريقة التي توحدهم وتربكهم. وأقول بنفس الطريقة التي لا أعرف، بعد كل هذه السنوات،

حلقة 2 يتبع في العدد 94

سينما

فيلم " لمسة " رحلة البحث عن الحب المفقود

علي المسعود

((لمسة)) هو عنوان الفيلم الذي أخرجه المخرج الأيسلندي "بالتاسار كورماكور" ويمكن أن يمثل حركة المشاعر ولكن ضمن السياق الدرامي للفيلم فانه بمثابة (وجع) رجل على عمر فات وحسرة على قصة حب قديمة . الفيلم كتبه كورماكور وأولافور يوهان أولافسون (استنادا إلى رواية أولافور لعام 2022 التي تحمل الاسم نفسه) .

حكاية رجل تطارده أوجاع الماضي و لمسة الحب مع الحبيبة اليابانية وميكو . تتقاطع مساراتهم مرة أخرى بعد سنوات عديدة، مما يؤدي إلى رحلة إعادة الاكتشاف والكشف . ويتم لم الشمل بعد سلسلة من الأحداث التي تؤثر تأثيرا عميقا على حياتهما، وتستكشف مواضيع الحب والندم ومرور الوقت . الفيلم يتمحور حول كريستوفر (إيجيل أولافسون) أرمل مسن يعيش بمفرده في أيسلندا ويدير مطعما في القرية . وعند مراجعته الطبيب يكشف تقريره الطبي إنه في مرحلة مبكرة من مرض الزهايمر . قبل أن يخرج منه تماما يلح عليه طبيبه (بنيدكيت أيرلنكسون) ، أن ينجز أي عمل غير مكتمل قبل فوات الأوان. وهكذا يغلق المطعم في أيسلندا ويطير إلى لندن في فترة تفشي وباء كوفيد في عام 2020 في محاولة للعثور على ميكو حب حياته قبل نصف قرن . العالم مشغول بوباء كوفيد الذي يغلق العالم ابوابه ، نشاهد كريستوفر يسافر من فندق إلى طائرة إلى سيارة أجرة إلى فندق لا يبالي بالفيروس أو مخاطره. من خلال والمكالمات الهاتفية القلقة مع ابنته البالغة ، نكتشف أن الرجل مريض بمرض عضال. أيامه معدودة حرفيا ، وذاكرته بدأت تتلاشى

يلعب الممثل الأيسلندي المخضرم" إيجيل أولافسون" دور كريستوفر ، هو الأن رجل كبير السن ، لديه ما يمكن تسميته بشكل معقول بحياة سعيدة ، صاحب مطعم ناجح على شاطئ البحر على ما يبدو. زوجته متوفاة الآن ، وهناك كل الدلائل على أن زواجهما كان جيد ا. لديه ابنة تتصل به كثيرا للاطمئنان عليه. لكنه يدرك أن وقته محدود ، وهناك شيء يجب عليه القيام به . لذلك يترك منزله في أيسلندا ويسافر أولا إلى لندن ثم إلى اليابان ، بحثا عن المرأة - أو على الأقل أخبار المرأة - التي انزلقت من حياته قبل سنوات عديدة .

يرجع بنا المخرج (فلاش باك) الى مشاهد من ماضي كريستوفر (يلعب كريستوفر في مرحلة الشباب الممثل بالمي كورماكور ابن المخرج) ، كان كريستوفر في شبابة يساريا / فوضويا ، يتماشى مع جيله وفي غير محله كطالب في كلية لندن للاقتصاد . في أحد الأيام وبعد احتجاج على اسلوب الجامعة في قمع التظاهرات الطلابية، يصدم أصدقاءه بالقرار المتهور بترك الجامعة والتقدم لوظيفة في مطعم نيبون الياباني . صاحب المطعم الياباني (ماساهيرو موتوكي) يلبي مطعمه إلى حد كبير احتياجات المغتربين اليابانيين من الأطباق اليابانية، ورغم أن جميع الموظفين كانوا يابانيين . لكنه منفتح بما يكفي في توظيف شاب أيسلندي في غسل الصحون .

يلتقي كريستوفر بالشابة ميكو (وتلعب دور ميكو عارضة الأزياء والموسيقية التي تحولت إلى ممثلة " كوكي كامورا) التي تبين أنها ابنة المالك وطالبة جامعية ونادلة في نيبون . مجرد لمسة من قبل ميكو، تشق طريقها بلطف الى قلب كريسوفر . يبدأ كريستوفر بدراسة اللغة اليابانية وتعلم الطبخ الياباني على يد الشابة ميكو ممزوج بالافتتان والأعجاب بينهما، ويقعان في الحب . كريستوفر شاب لطيف يدرس الاقتصاد في بداية سبعينيات القرن العشرين في لندن وصاحب أراء ثورية ويبرز في نقاشه مع

زملاءه في الجامعة ماركسيتة ورفضه لأسلوب ادارة الجامعة في التعامل مع المحتجين من الطلبة على حرب فيتنام . يستمتع هو وأصدقاؤه بالمحادثات النظرية حول الظلم الاقتصادي، يقرر كريستوفر ترك الدراسة والانضمام إلى البروليتاريا والطبقة العاملة . يشق طريقه مؤقتا بالسعي إلى وظيفة غسل الأطباق في مطعم ياباني - المالك ، تاكاهاشي سان (ماساهيرو موتوكي)، سرعان ما يصادق المالك ، تاكاهاشي سان . وبعد فترة ، يلتقي كريستوفر بابنة تاكاهاشي سان المشرقة والمثيرة للاهتمام ، ميكو (كوكي) ، حتى قبل أن تستطلع وجهه وتخبره أنه يذكرها بجون لينون مغني فرقة (البيتلز).

من خلال (الفلاش باك) نتعرف على عائلة ميكو التي هاجرت إلى إنجلترا من مدينة هيروشيما. تطلق على نفسها اسم "هيباكوشا" (ناجية من القنبلة الذرية). يلتزم كريستوفر بالعمل في غسل صحون في المطعم الياباني. يأخذه المالك تاكاهاشي (ماساهيرو موتوكي) على التعرف على ثقافته ومطبخه والطهي التقليدي وفن الهايكو (هو نوع من الشعر الياباني، يحاول شاعر الهايكو التعبير عن مشاعر جياشة أو أحاسيس عميقة من خلال ألفاظ بسيطة. تتألف قصيدة الهايكو من بيت واحد فقط) . في الوقت نفسه، تتطور العلاقة الحميمة بين الشابين تحت سقف هذا المطعم المزدهر، في اللقاءات المسروقة بعيدا عن عيون الجميع . لكنه شغف لدى ميكو أسباب في الأبتعاد عن والدها الحذر والمحافظ الذي لا يزال يتصارع مع الندوب الحقيقية والنفسية

لحياتهم في اليابان كناجين من قصف هيروشيما . تحب الشابة ميكو مشهد مدينة لندن وحياتها ، في حين أن والدها المحافظ ، الذي هاجر إلى هنا من مدينة هيروشيما أكثر تحفظا ولايسمح لأبنته في الأنجرار الى حياة اللهو في مدينة الضباب . لذا كانت لقاء كريستوفر وميكو بتكتم وسرية تامة . يفاجأ كريستوفر عندما يصل إلى المطعم ذات يوم بأغلاقته دون أي معلومات حول ما حدث وأين إنتقلت العائلة . أخيراً يعرف أن العائلة عادت الى موطنها اليابان.

" لمسة " الذي اقتبسه كورماكور والمؤلف الأيسلندي أولافور يوهان أولافسون من كتاب الأخير نفسه هو فيلم ياباني/آيسلندي رائع يتعمق في الاحتمالات المثيرة للاهتمام لسيناريوهات "ماذا لو". يمزج الفيلم ببراعة بين الدراما والتأمل، هو استكشاف تأملي للحب والخسارة والحنين إلى الماضي وإعادة الاكتشاف الذي يمزج بشكل جميل بين الماضي والحاضر ، وينسجهما معا في رحلة عاطفية عبر الزمن. في حين الرحلة في الحاضر هي ما يحرك السرد ، لكن استكشافات الحنين إلى الماضي هي التي تحمل الكثير من الوزن العاطفي للفيلم. يبني كورماكور عالما نابضا بالحياة ، حيث يلتقط الغضب المقيد للحب الشاب بنفس القدر من الرقة كما يفعل الاستكشاف اللطيف للمواهب الجديدة ورهاب الأماكن المغلقة المحبط للتنقل في القواعد الصارمة والصدمات العائلية. إنها حكاية مؤثرة وشفافة .

يتكشف بقية الفيلم بطريقة متشعبة، حيث ينتقل بين رحلة كريستوفر المسن والذكريات إلى شبابه. كان كريستوفر الشاب (بالمي كورماكور) طالبًا في كلية لندن للاقتصاد ذات يوم، لكنه اكتشف تدريجيًا أن آرائه الماركسية المتطرفة لا تتوافق مع الالتحاق بمؤسسة تجارية نخبوية. وبينما كان أصدقاؤه اليساريون يكتفون بالشكوى من استغلال العمال من راحة الحانات والمكتبات قبل وظائف مربحة، اتخذ كريستوفر قرارًا عفويًا بترك المدرسة والحصول على وظيفة كغاسل أطباق في مطعم ياباني. ينغمس تدريجيًا في الثقافة اليابانية ويقع في حب ابنة المالك، ميكو (كوكي كيمورا)، ويجد قرابة مع عائلته الجديدة التي اختارها والتي لم توفرها له دوائره الاجتماعية القديمة أبدًا. ولكن عندما أغلقت العائلة المطعم وهجرته دون سابق إنذار، أصيب بانهيار لا يمكن التعافي منه .

هذه التجربة تترك فراغا في قلب كريستوفر ، حتى أن زواجه اللاحق في أيسلندا لا يملأه أبدا، مما يدفعه إلى تتبع خطواته في مطاردة ذكرياته للعثور على حب حياته للمرة الأخيرة. بعد تحول المطعم الياباني منذ ذلك الحين إلى صالون للوشم (تاتو) ، ولكن بعد البحث في سجلات المدينة يكتشف في نهاية المطاف عنوان لميكو في اليابان. مع استمرار المجتمع العالمي في الانقباض والقيد بقيود الفايروس الذي يجتاح العالم ، يقفز إلى واحدة من الرحلات الأخيرة إلى طوكيو على أمل تسجيل نظرة أخيرة على الحياة التي انزلقت من بين أصابعه.

الممثل والمغني الآيسلندي المخضرم" إيجيل أولافسون " يلعب دور كريستوفر، الذي يظهر في مشهد في البداية بصدد إغلاق مطعمه في ريكيافيك، وترك المنزل ، ويهمس"سامحيني"، كما يقول لصورة لامرأة نفترض أنها زوجته الراحلة، ومن ثم ركوب الطائرة المتجهة إلى لندن . تتيح لنا مقتطفات أخبار عبر الراديو والعمال الذي يلبسون قناع الوقاية معرفة أن الوباء (كوفيد 19) مازال يفتك بالأرواح، ونرى كريستوفر يقوم بتمارين الذاكرة، مما يشير إلى أن الخرف لديه في مراحله الأولى. لكن القضية الأكثر إلحاحا كريستوفر هي تجربة حب وما حدث له لامرأة وقع في حبها خلال أيام دراسته الجامعية في مرحلة للشباب في المملكة المتحدة، عندما كان يعمل في مطعم ياباني .

نتابع أحداث الفيلم حين يلتقي الماضي والحاضر يكشف ذروته في تفسير سبب انتهاء علاقة كريستوفر وميكو . يكفي أن نقول إن ميكو ووالدها فروا من هيروشيما بعد وقت قصير من إسقاط القنبلة الذرية في أغسطس 1945، مع حلم بدء حياة جديدة في لندن .حاولوا قدر استطاعتهم التكيف مع الأغتراب والحياة الجديدة ، لكن التأثير المستمر للحدث ووصمة العار لكونهم هيباكوشا - الناجين من القنبلة الذرية - سيستمران في التأثير على حياتهم لعقود عديدة قادمة . حين اتخذ كريستوفر الماركسي الثائر على النظام الرأسمالي قرارًا عفويًا بترك االدراسة والعمل بوظيفة غاسل أطباق في مطعم ياباني. ينغمس تدريجيًا في الثقافة اليابانية من تعلم اللغة إلى طهي الطعام وحتى كتابة الهايكو ويقع في حب ابنة صاحب المطعم ميكو (كوكي كيمورا)، وفي نفس الوقت ، يجد الترحيب من هذا المجتمع . بدلا من قصة الاستعمار أو الاستيلاء أو الحديث عن مأساة هيروشيما، يقدم فيلم (لمسة) قصة حساسة عن الحب والاحترام عبر الثقافات . ولكن عندما أغلقت العائلة المطعم وهجرته دون سابق إنذار، أصيب بانهيار لا يمكن التعافي منه . مما يدفعه إلى تتبع خطواته في رحلة العثور على حب حياته للمرة الأخيرة ، يقفز في رحلته الأخيرة إلى طوكيو على أمل في الظفر بنظرة أولقاء أخير بميكو .

حكاية عن الحب البشري والتواصل صورة من "الحنين إلى الماضي"

(لمسة) دراما مؤثرة للغاية، وهو فيلم عاطفي للغاية عن الحب والندم المفقود . يمتد الفيلم لعدة عقود ويشركنا بشكل وثيق في قصة جميلة. صنعها المخرج الآيسلندي بالتاسار كورماكور و حداثه تقع في المقام الأول في لندن. الفيلم الرقيق والمؤثر الذي يقدم بشكل جميل حكاية عن الحب البشري والتواصل صورة من "الحنين إلى الماضي" .يجمع الفيلم أيضًا الثقافات معًا في كوكتيل شبه سحري. الشخصية الرئيسية هي آيسلندية، وحبيبته السابقة يابانية، وتدور أحداث قصتهما في لندن، ويأخذنا هذا العمل الدقيق إلى البلدان الثلاثة، مما يجعله عالميًا وغريبًا في نفس الوقت. كل ثقافة تجلب شيئًا صغيرًا وتثري بعضها البعض.

يتناول الفيلم مراحل مختلفة في حياة كريستوفر الهادئ ،وتروي القصة صحوته الاجتماعية، ترك الأجنبي الأيسلندي الجامعة المرموقة في لندن لدراسة الاقتصاد والقبول بوظيفة غسل الأطباق في مطعم ياباني، وهو عمل يعتبره أصدقاؤه أقل من مستواه. في أوائل السبعينيات، لا يزال هناك بعض التداعيات العنصرية ضد اليابانيين من الحروب السابقة. كانت التفاصيل القليلة التي يُدخلها التصوير الفوتوغرافي أو طريقة التصوير وفقًا لاختلاف البلدان مثيرة للإعجاب من دون أن تكون براقة أو مبالغ فيها،

البقية ص 32

مسرح

الواقعية وهوية التوظيف في المسرح العراقي...؟

د. تيسير الآلوسي*

"المعالجة": المسرح العراقي كان ومازال مؤسسة تنوير فاعلة؛ لهذا كانت علاقته بقوى التنوير والتقدم بنيوية، جوهرية وقوية. ولهذا، تعددت معالجاته وتنوعت واتخذت الاتجاه الواقعي أداةً، لتوفيره الفرص الأفضل في الوصول إلى أوسع الشرائح الاجتماعية التي تفشّت وسطها الأمية؛ الأمر الذي فرض شكل تحدي الجهل ومنطق الخرافة والتخلف ومكافحتهما."...

ما الواقعية دراميا مسرحياً؟ وما مدارسها؟ كيف ومتى وُلِدت؟ وما الدواعي التي دفعت إليها؟ تلك أسئلة ربما باتت إجابتها معروفة بشكل واسع. إنما ما يهمنا من وضع إجابات موجزة سريعة في سياق المعالجة يأتي بقصد تلمّس مجريات توظيفها في النموذج العراقي من جهة والكشف عن تفاصيل ذاك التوظيف وما يقف خلفه...

يظل إبداع جماليات الأدب والفن محاكاة للواقع وتجسيداً لحالاته وتمظهراته بصيغ ينتخبها ويقررها المبدع وتتنوع في ضوء معالجاته الفنية وتعددها وتنوعها وفي ضوء إمكاناته... ولقد ارتسم الواقعي في مناهج الإبداع مذهباً جمالياً أدبياً وفنياً، في العصر الحديث، منذ منتصف القرن التاسع عشر؛ يوم صوّر الواقع من خلال: "البحث عن الحقائق الإنسانية والاجتماعية لحركة الحياة وليس من خلال البحث في ذات الفرد كما كانت تفعل الرومانسية أيام ازدهار الثورة البرجوازية.." ((ت. الآلوسي ـ المسرحية العربية في الأدب العراقي الحديث 1945-1968 ـ رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة بغداد ص90))...

إنّ الواقعية مذهباً، تجسد القوانين الموضوعية لحركة الحياة حيث أحوال الطبقات الفقيرة وما تكشفه من أسباب الإيجاب والسلب في حيوات الناس، فكرياً أي قيمياً أخلاقياً وجمالياً بمنع ظهور المبدع في ثنايا المنجز الجمالي بقدر ظهور الشخصيات التي يستنطقها في حركة العمل الدرامي المسرحي مع تجنب الكماليات التزويقية لصالح نقل الحياة إلى الركح...

مثل هذا لم يولد مكتملا ناضجاً كما ظهر في مجتمعات متقدمة، ولكنه في عراق خرج للتو من قرون حكم العصمللية ومنظومتها الاقطاعية لتأسيس دولته الحديثة، أخذ المستوى البدائي للواقعية في تعبيره الجمالي بمرحلة النشأة الأولى. وغالبا ما جابهتنا الواقعية السطحية أو الساذجة بفجاجة اشتغالها الجمالي المضموني، وهي تتناول موضوعاتها..

فمن جهة قلما تحصل كتّاب العراق الأوائل على مصادر وافية للتعرف إلى المذهب ومنجزه ومستوى ما وصل إليه وهم أنفسهم لم يمتلكوا الدربة والخبرة الكافية حينها، لتمكينهم من أدواتهم؛ ولكنهم امتلكوا رغبة عارمة في نقل تطلعاتهم الفكرية بقصد التنوير من جهة والمساهمة في التنمية البشرية من جهة أخرى فضلا عن إنجاز إبداعهم بالاتساق وقيم العصر وحركات التجديد الجمالية فيه..

فوجدنا أولا توجهاً نحو عرض (الوثيقة) التاريخية أو السجل التاريخي وسير البطولات القومية، تعزيزاً لخطاب الثورة القومية ومهمة التحرر والانعتاق من بلطجة الانكشارية وسطوة العصمللية على مقدرات الشعوب وبالساس كان ذلك بإطار مشوب بالرومانسية. لكننا سنجد الواقعي الذي يعنينا بهذه المعالجة؛ حيث يتبدّى فيما تناول من تفاصيل اليوم العادي للإنسان من مصاعب تقف بوجه حاجاته المستجدة في ظل الدولة العراقية الوليدة وقوانين مسارها المجتمعي؛ وهنا تحديداً، ظهرت الواقعية السطحية سواء في مستوى التناول والمعالجة فكرياً أم في

مستوى استيلاد الجماليات بتلك المراحل المبكرة من ولادة التعبيرات الإبداعية الجديدة.

يمكن لنا أن نذكّر بهذا الشأن، بقائمة الأعمال المسرحية التي تناولت الإشكاليتين: البطولات القومية لكن طبعا بسماتها المختلطة بالرومانسية والقضايا الاجتماعية؛ بما يؤكد ما ذهبنا إليه من إشارة للتو. لكن الأمر تقدم وإن كان بخطى وئيدة على خلفية الأثر الذي أحدثته الحرب الكونية الثانية والنظم السياسية التي سطعت في أوروبا الشرقية ومنظومتها الفكرية والقيمية.. حيث شهدنا ظهور الواقعية باتجاهيها النقدي والاشتراكي، أقصد مغادرة الواقعية السطحية ولو نسبياً، والتعمّق في المعالجات بغض النظر عن مستوى ذياك العمق وكونه محدوداً بالاستناد لضعف أثر العلاقات الدولية مما وصل من التجاريب حتى ذلك الحين.

غير أن الهزة الراديكالية للحرب الكونية، أطلقت آثارها جلية واضحة في (بعض) الأعمال للدراميين العراقيين المتألقين آنذاك.. فشهدنا اغتناء الواقعية بعلامات ولو بسيطة من الرمزية والعبثية أو اللامعقول حيث على سبيل المثال لا الحصر استثمار ثيمة الجنون في الأربعينات؛ عبر شخصيات ستتكرر في مسرح عراقي لاحق مثل شخصية خبالو وما تطرحه، بين ثيمة الجنون بشخوصها والبهلوان ولاذع النقد الذي يحمّلونه إياه...

ومن قراءة متعمقة يمكن توكيد ما أشرنا إليه من أنّ الظروف التاريخية للعراق الحديث، قد دفعت إلى حركة تغيير ولجت التعبير الدرامي إلا أن تلك الظروف ذاتها ساهمت أيضا بسطحية المستوى الجمالي الفني وقدراته على المعالجة الأعمق.

---

* أستاذ الأدب المسرحي

إننا هنا طبعا، نتحدث عن حركة الإبداع ومعانيها ومستوياتها في ضوء حجم الظاهرة سواء ما يخص الثغرات التحليلية من تلك الظاهرة أم الهفوات وسطحية المعالجة الجمالية فيها.. ولا نتحدث عن بروز علامات مميزة وشاخصة مهمة لبعض الدراميين أي أننا لا نتحدث عن الاستثناء المميز من دون المرور بوضوح على المنتشر كظاهرة واسعة من المستويات المتدنية في المنجز الدرامي آنذاك..

لعل مثل هذا التشخيص هو ما سيلعب الدور الأوضح في قراءة مراحل النمو والحراك بين مرحلة النشأة الأولى ببساطتها وربما سطحيتها زمن ولادة الدولة العراقية المعاصرة وبين ما نحن فيه الآن..

وبجميع الأحوال ارتقى الإبداع الدرامي إلى مهامه التنويرية عبر تلك الصلات الحية مع الواقع وعبر تجسيده فيما تناول وعالج من المشكلات سواء منها الاجتماعية التي تمسّ تفاصيل اليوم العادي للفرد والعائلة والعلاقات الشخصية في سياقاتها التاريخية التي تمس المنظومة القيمية الاجتماعية العامة أم تلك التي تمس النظام العام اجتما سياسيا بقوانينه وصراعاتها وأشكال المتغيرات والتفاعلات التي تعتمل فيه...

إنّ منطق العقل العلمي وفرص التشخيص التي يمنحنا إياها تحليله المعرفي الجمالي يؤكد حجم الأنوار التي سطعت بفضل المنجز الدرامي وخطاب المسرح في العراق. وما يبرهن هذه الحقيقة ولادة جمهور مسرحي صارت مشاهدة المسرح وفتح الحوار المتصل المستمر مع طروحاته حقيقة ذات نسبة جدية ملموسة وسط الطبقة الوسطى ما جذب أيضاً فئات من الطبقات الأخرى إليها في تكوين جمهور المسرح العراقي... لكن تطور السمات الدرامية لم تكن جميعها على نفس المنوال فالحوار اتسم بالتضخم بسبب تلك الحاجة الدفينة التي دعت لمزيد إشباع للتحدث في مجالات وميادين الاشتغال نفسه، مع انشغال بالحبكة القصصية للأعمال على خلفية تداخل سمات الأعمال الإبداعية بعامة...

إن هذه السمات التي طبعت الواقعية في اشتغال المسرح مرت عبر محطات في مسيرة الواقعي في المسرح العراقي فمثلا كان هناك انعكاس لتوجهات الكاتب وهوية تفكيره وما يؤمن به من رؤى وأفكار، وانتماء لخطاب اشتغاله وسط الملاهي و\أو المنتديات الثقافية ما يدفع لمحاكاة آليات عيش وأسلوب حياة ومصادرهما. لقد تداخلت تلك المحطات وظهرت بمختلف العقود بتاريخ العراق الحديث ومن تلك المحطات واتجاهاتها الواقعية الدعائية ضمن إطار واقعية سطحية ساذجة وواقعية طبيعية عجفاء في استنطاق العلمي بجفافه والواقعية النقدية البسيطة والأخرى المتطورة بعمقها الاجتماعي وغنى طروحاتها وتقديمها صورة مستقبلية مما يتطلع الإنسان إليها موضوعيا. وفي إطار كل تلك المحطات باختلاف أزمنة ظهورها كان لنا أعمال مسرحية سنشير هنا إلى نماذج نتابع بوقت لاحق التفصيل فيها...

فبين تركيز على ثيمة الحب والصداقة وخيانة العهد والتحدث عن المرأة الجديدة بوصفها إنسانا له كامل الحقوق حيث الصوت المطمور الصامت، سنجد مسرحية طعنة في القلب وأنا عاطفية جداً، بواقعية تشوبها الرومانسية وسنجد أنا أمك يا شاكر بواقعية ترنو للثورة ومنطق بناء عالم جديد يتحرر من استغلال الإنسان ويُطلق الحريات مستجيباً للحقوق والمطالب ...

وفي مسرح الخمسينات سنلاحظ ظهور منطقة التحشيد والتعبئة الدعائية للتظاهرات السياسية ونداءاتها باتجاه التغيير وللانتفاض على التقاليد البالية. فانطلقت بعض التظاهرات من هناك من صالات المسارح و وُلدت حركات احتجاجية ضد قيم اجتماعية متخلفة وضد أعمال الشعوذة والدجل وألاعيب الدجالين المتقمصين لدور الكهنوت الديني بما يُسقطِون على أنفسهم من قدسية وعصمة متوهمة مدَّعاة ولكن أمرهم فضحه الإبداع المسرحي بمحوري خطابه المعمدين بروح التقدم وأنواره...

إن عملا مثل مسرحية (صورة جديدة) قد أحدث نقلة نوعية ملموسة. سواء ببنيته أم بمعالجته وما دعا إليه. فالقضية بين الحبكة ومفردات القصّ فيها وبين الخطة الفكرية العامة تكشف عن عميق التدبر في عرض الفكر السياسي وراء تفاصيل الحبكة التي اتخذت منحى جمع أكثر من مدرسة وسماتها تحت مظلة الواقعية التي نحن بصدد تبين بعض معالمها.. فالملحمي البريشتي والرمزي وغنى دفقه الدال وغير ذلك، هو ما يدفعنا للتحدث عن غنى التجربة وهي ذاتها عندما سنتجه إلى نهاية الستينات والنفوذ إلى عقد السبعينات من القرن العشرين..

حينها سنجابه نماذج درامية واقعية ثرية بالجمالي الفني وبالخطة الأيديلوجية لا الفجة الجلفة ولكنها المتوارية في عمق المسرحية؛ أشير على سبيل المثال إلى أعمال الخرابة والمفتاح وبنيتيهما وإيحاءاتهما سواء للفكري أم لاستدعاءات جماليات الشعبي المحلي ووضعه بمستوى المحمولات الفلسفية والاجتماعية الجديدة.

وإذا كان المطلوب في هذه المعالجة، يتجسد في التوكيد على طابع التوظيف وأشكال تمظهره بين المباشرة السطحية والعمق وغناه الجمالي فإنّ تسلسل التناول هنا هو ما ساعد على محاكمة الأسباب والعوامل التي وقفت وراء المشكلات والمصاعب والمسائل المجتمعية بكل ما كان فيها من مشكلات سياسية اجتماعية كما في شيوع خصال اللامسؤولية والعدائية تجاه مؤسسات الدولة و توهّم أنها ليست ملكية للمجتمع والناس ما يدفع بعضهم لإهمالها ولالما لتخريبها وكما في شيوع التقاليد البالية المتخلفة ومن ثمّ في تجسيدها في الأعمال المسرحية بطريقة تقترح بعض معالجات بمستويات مختلفة...

إن ما يخيف قوى الظلام اليوم، هو إمكان عودة ذياك الروح وتلك الحياة للمسرح العراقي الذي بات يختزن طاقات حيوية فاعلة ومؤثرة ما يضيء البلاد وعقول العباد ويدفعهم مجددا للتعرف إلى طريق الخلاص...

إن محاولة هذه الإطلالات تتصدى لمسؤولية تفعيل الخطاب النقدي الدرامي وتنظيره، ومن ثمّ في إطلاق جديد لحركة مسرحية مبدعة تصل برسائلها إلى الجمهور المتعطش لجديد المسرح ومعالجاته الدرامية.. وفي ضوء هذا الاشتغال السعي الحثيث إلى تحقيق حركة تنوير و\أو المساهمة بدفعها للفعل بعد خمود نتيجة أعمال السحق التي وقعت على الطبقة الوسطى نتيجة مطاردة وحظر وخطاب تكفير وإقامة حدود التصفية الدموية الأبشع في عصرنا بوساطة قوانين قوى التخلف مما لم ينزل الله بها من سلطان...

ولعل إدامة تفاعلاتكنّ وتفاعلاتكم سيكون متابعة ومواصلة لمشوار البحث التنويري في خطاب المسرح والحياة بصورة أكثر عمقا وتوصلا للمفيد في مستهدفات الشعب وطبقاته الفقيرة المسحوقة. وإلى استعادة الصلة بالقيمي الروحي الأنجع والأكثر صوابا بديلا عن خزعبلات التخلف والتجهيل وممارسات أدعيائه..

مراجعات

المعرفة والحكمة/ بقلم بترند رسل (2 - 2)

أبوذر الجبوري

ت: من الإنكليزية أكد الجبوري

أعتقد أن جوهر الحكمة هو التحرر، بقدر الإمكان، من طغيان الحاضر. لا يمكننا تجنب أنانية حواسنا. إن الرؤية والسمع واللمس مرتبطة بأجسادنا ولا يمكن أن تكون غير شخصية. عواطفنا، بالمثل، تبدأ من أنفسنا. يشعر الطفل بالجوع وعدم الراحة، ولا يتأثر إلا بأحواله الجسدية. تدريجيًا، على مر السنين، يتسع أفقك، وبقدر ما تصبح أفكارك ومشاعرك أقل شخصية وأقل ارتباطًا بحالتك الجسدية المباشرة، تتمكن من اكتساب الحكمة. وبطبيعة الحال، هذه مسألة درجة. لا أحد قادر على تصور العالم بنزاهة كاملة؛ وإذا تمكن أي شخص من القيام بذلك، فسيكون من الصعب جدًا عليه البقاء على قيد الحياة. لكن من الممكن أن نقترب باستمرار من الحياد: من خلال معرفة الأشياء البعيدة إلى حد ما في الزمان أو المكان، من ناحية، ومن خلال منح هذه الأشياء أهميتها الواجبة في مشاعرنا، من ناحية أخرى. وهذا النهج تجاه الحياد هو الذي يشكل تطور الحكمة.

هل يمكن تعليم الحكمة بهذا المعنى؟ وإذا كان من الممكن تدريسها فهل يجب أن يصبح تدريسها أحد أهداف التعليم؟ سأجيب على كلا السؤالين بالإيجاب. يُطلب منا في أيام الأحد أن نحب جيراننا مثل أنفسنا. وفي الأيام الستة الأخرى من الأسبوع يتم حثنا على أن نكرهه. قد تقولون إن هذا هراء، لأن من شجعنا على كرهه ليس جيراننا. ولكنكم ستتذكرون أن هذه الوصية تم توضيحها بإخبارنا أن السامري هو قريبنا. وبما أنه لم يعد لدينا أي سبب لكراهية السامريين، فإننا نخاطر بعدم فهم جوهر المثل. إذا كنت تريد أن تفهم جوهرها، فاستبدل السامري بالشيوعي أو المناهض للشيوعية، حسب الحالة. قد يعترض البعض على أنه من العدل كراهية من يلحقون الأذى.

أنا لا أصدق الأمر بهذه الطريقة. إذا كنت تكرههم، فمن المحتمل جدًا أن تصبح ضارًا بنفس القدر، وهناك فرصة ضئيلة جدًا لحثهم على التخلي عن مواقفهم الشريرة. إن كراهية الشر هي في حد ذاتها نوع من الخضوع للشر. الحل يكمن في الفهم وليس الكراهية. أنا لا أقترح السلبية. لكنني أقول إن المقاومة، إذا أريد لها أن تكون فعالة في منع انتشار الشر، يجب أن تتكون من أكبر جرعة ممكنة من الفهم وأقل جرعة ممكنة من القوة التي تتوافق مع الحفاظ على كل الخير الذي نتمناه. للحفاظ على .

يُعتقد عمومًا أن وجهة النظر التي أدافع عنها لا تتوافق مع الطاقة اللازمة للعمل. ولا أعتقد أن التاريخ يدعم هذه الآراء. عاشت الملكة إليزابيث الأولى ملكة إنجلترا وهنري الرابع ملك فرنسا في عالم كان فيه الجميع تقريبًا متعصبين، سواء على الجانبين البروتستانتي أو الكاثوليكي. وكلاهما بقي خاليًا من أخطاء عصره، وكلاهما، لهذا السبب، كان مفيدًا ولم يقع بالتأكيد في عدم الفعالية. لقد خاض أبراهام لينكولن حربًا عظيمة، دون أن يتخلى لحظة واحدة عما أسميه الحكمة.

لقد قلت إن الحكمة يمكن تدريسها جزئيًا. ويبدو لي أن هذا التعليم يجب أن يشتمل على عناصر فكرية أوسع من المعتاد فيما يعتبر تعليمًا أخلاقيًا. وأعتقد أنه من الممكن أن نشير، بالمناسبة، أثناء تدريس أي علم، إلى النتائج الكارثية للكراهية وضيق الأفق لمن يعاني من مثل هذه المصائب. لا أعتقد أن المعرفة والأخلاق يجب أن تكونا متباعدتين للغاية. صحيح أن نوع المعرفة المتخصصة التي تتطلبها التقنيات المختلفة لا علاقة له بالحكمة. ولكن ينبغي استكمال ذلك في التعليم من خلال دراسات أوسع تهدف إلى وضع تلك المعرفة المتخصصة في مكانها الصحيح، ضمن مجمل الأنشطة البشرية. فحتى أفضل الفنيين يجب أن يكونوا مواطنين صالحين؛ وأعني بـ "المواطنين" مواطني العالم وليس مواطني هذه الطائفة أو الأمة أو تلك. ومع كل زيادة في المعرفة والتقنية، تصبح الحكمة أكثر ضرورة؛ لأن كل واحدة من هذه الزيادات تزيد من قدرتنا على تحقيق أغراضنا، وبالتالي تزيد أيضًا من قدرتنا على ارتكاب الشر، في حالة كون أغراضنا حمقاء. العالم يحتاج إلى الحكمة كما لم يحتاجها من قبل؛ وإذا استمرت المعرفة في التزايد، فإن العالم سيحتاج إلى الحكمة في المستقبل أكثر مما يحتاج إليها الآن.

فيلم " لمسة "

كانت التفاصيل القليلة التي يُدخلها التصوير الفوتوغرافي أو طريقة التصوير وفقًا لاختلاف البلدان مثيرة للإعجاب من دون أن تكون براقة أو مبالغ فيها، هذا الفيلم مثل حلم رومانسي جميل وشاعري بقدر الإمكان، وفي بعض الأحيان جدي للغاية في الحديث عن مواضيع مثل الإجهاض أو الشيخوخة أو حتى الآثار اللاحقة لقنبلة هيروشيما. "لمسة" فيلم جميل يفاجئنا ويغزو قلوبنا وأرواحنا بينما يلمسنا في القلب مباشرة. عمل هادئ ودقيق يشعرك بالارتياح بينما يثبت أنه أصلي وغير متوقع. وهذا يذكرنا بـ "حياة الماضي" الرائعة بنفس القدر . من الناحية السينمائية، يلتزم بالتاسار كورماكور بإظهار الوجه الشجاع حرفيا لبطله . غالبا ما تظهر على وجه أولافسون ابتسامة مريحة، ولكن خلف عينيه يومض الألم والألم والصدمة وهو يتبع الطريق الذي لم يستطع نفسه في شبابه العثور عليه. بينما ينتقل هذا الرجل المسن من أرض أيسلندا القديمة إلى التضاريس الجديدة، هناك إثارة الاكتشاف ولكن أيضا الخوف من أن يكون سعيه عبثا. يحمل أولافسون هذا التوتر في الأيدي التي تمسك بباقة متفائلة من الزهور وخطوة تتباطأ مع تقدم العمر ولكنها لا تزال جادة مثل تلميذ المدرسة .

في النهاية، لمسة هو دراما مؤثرة للغاية عن الحب والحنين بأشكال عديدة. تركز قصة كريستوفر على الحب الرومانسي، ولكن من خلال رحلته، يعرض كورماكور مجموعة من العلاقات و الروابط المختلفة التي تتشكل بين الأصدقاء الذين يصبحون عائلة ، أو الطعام الذي يصبح هوية لنا، أو لغة تتحدث عن مشاعر لم نكن نعرف كيفية تسميتها. ولكنها تمر على القلب تماما مثل لمسة .

أحلام...

حسن مع سبق الاصرار والترصد...

حسن العلي

كنت احلم فقط. هذه كانت أقصى الأمنيات أن احلم حلم العابرين في الطرقات .

حلم المشردين على الأرصفة المنسية تحت جسورٍ تحرق المسافات وفي انفاق تمتد تحت الأرض، حلم من تشترك معه الفئران في المعيشة، فينعم من يعيش فوق هذه الأنفاق بما جاءت به اليهم يد الأقدار من رغد عيشٍ قَصُرَ نظره عن البعض العاطل عن الأمل. هي نسبة قليلة نحتاجها في كل المجتمعات حيث لاتدور عجلة الاقتصاد العطشى بدونهم كنت احلم حلم أي منسي لفظته تربة وطنٍ اشتاقه فاستسلم ورفع الراية البيضاء في وجهه، ومشى في طابور فيه خمسين نسخة من نفسه، كل نسخة تكبر سابقتها بعام وكل نسخة منه تحمل حلما كبيرا لم يتحقق.

كنت احلم أن أعيش احداث قصة حب مثل الأفلام المصريه التي تنتهي بمشهد عناق على اعتاب باب غرفة نوم. بعد أن عانى البطل من ضنك العيش والفقر وخاض ما خاض من صراعات ليحقق هو الآخر حلماً رسمته أمه قرب ترعة سقطت من حسابات جريان النيل، يفتحه العاشقان ثم يقفل عليهما لتظهر كلمة Fine بلفظ من بقايا الاستشراق الفرنسي ، وكنت احلم يازهراء باني ساستقبلك في مطار بغداد كل ذات فقد، نذهب إلى بيتنا الذي سنشتريه قرب دجلة ثم نذهب إلى مقهى في الكرادة او العرصات نشرب فنجاني قهوة على أنغام موسيقى صباحيه ، قد تكون فيروز. وكنت على شبه يقين بان نادل المقهى سيكون على علم باختلاف ذائقتنا الموسيقيه وكان سيقع اختياره على أغاني تفضلينها على حسابي.

كنت احلم بقصة عن بغداد أكون فيها أنا البطل الذي سيعيد ألق النخيل إلى ضفافها ويجعل من يومها أجمل و وجوه أطفالها أكثر ابتساما ويبعث الأمل في شوارعها ودكاكينها ومقاهيها التي ستصبح يوماً ما نسخة من مقاهي البندقية تناغي المراكب الصغيرة التي تحتضن أزواج السائحين وهم يبحثون في ازقة بغداد عن ليلة من ألف ليلة وليلة! عن شهريارٍ لازال يبحث عن أنثاه بين النساء ، عن شهرزاد الحكايا التي لاتنتهي إلا بشرفة على حكايةٍ أجمل .

كنت احلم بعيون تخبرني أنت لست وحدك في هذا الحلم ومما كنت احلم به باني ساتي إلى هذه البقعه من الأرض فاحقق آخر نسخة من حلمي.

لم يكن مطروحا على جدول أوهامي ان يكون منتهى آخر أحلامي على رصيف انزف عليه بقية عمري.

وصلتني رسالة على المسنجر ، نعم هنا في الفيس بوك من حساب لن اذكره لكن الكثير منكم يعرفه في الحقيقه بين وبينه اكثر من صديق مشترك، يخبرني بانه مثلي مهتم بقضايا هدر المال العام والفساد! وأن لديه من الملفات مايدين أنور وغيره من أساطين الفساد في الحكومة.

من أخبره باني مهتم أصلا بهذا الموضوع؟ أنا ياسيدي وجدت نفسي في غابة دون تخطيط مسبق ودون نية مبيتة.

أنا كنت هنا بالصدفة ولم اكن انوي الدخول في عالم هولاء ، كنت غبياً لدرجة أنني ظننت ولوهلة باني سأحقق حلماً لبغداد ! كنت غبياً لدرجة أنني صدقت بوهم النصف الممتلىء من الكأس.

كأس العراق فارغه حد العطش، حد اليأس ، حد القرف.
لا لم يكن في الحسبان ان اكتب قصيدة ولم يكن في حساباتي ان اكتب !

مهلاً أنا هنا كذبت عليكم وبعض الكذب شعر والشعر منه أصدقه . في الحقيقة كنت احلم بأن اكتب يوميات سعيدة عن بغداد، كانت صورة جودي ألبوت وهي تكتب إلى صاحب الظل الطويل، حاضرة وأنا اجهز حقيبة السفر. كنت احلم بأن أكون أنا صاحب الظل الطويل الذي يبحث عن جودي في بغداد عبر يومياته. وان تكون يومياتي عبارة عن أمل لا وجع.

عندما عدت إلى أول مقهى ، كتبت فيه اول تفاصيل وجودي في بغداد، بحثاً عن حامل الجمرات أو الشابين الذين كانا يحاكيان ولعي بالشطرنج تفاجئت بان الرقعة قـــد اختفت وأن مشجع جلسي حامل الجمرات هو الآخر قد اختفى

كنت اظنه سيكون بطلاً من أبطال روايتي المرحة عن بغداد التي ستكون اول ثلاثية تنتهي بانتصار الأبطال وكان من المفترض أن يكون سفر ناقل الجمرات إلى لندن ليشاهد لعبة كلاسيكو لندن، فريق چيلسي مع الأرسنال، كانت هذه التفصيلة مهمة ونهاية تليق بنهاية سعيدة للجزء الأول من ثلاثية بغداد ينتهي بعدها حمودي ليصبح شخصية عراقية حققت حلماً

تفاصيل الحلم كانت تتضمن صعوبات كثيرة وتعهدات مني ومن زهراء بان نتكفل باستضافة وكلفة سفر وإقامة حمودي في لندن ، حتى نرضي نزق الكبرياء الإنكليزي ونعطي ما يكفي من ضمانات بان حمودي لن يصبح لاجئا بل انه سيعود ليحمل الجمرات يطوف بهن على الزبائن في المقهى بعد مشاهدة لعبة چيلسي والارسنال

ومن تفاصيل الرواية السعيدة بان الشابين سيكونان لاعبي شطرنج في الاتحاد العراقي للعبة وأنني وبحكم العلاقه التي ستنشأ معهما بعد عدة زيارات للمقهى، سأنظم بطولة ودية بين بعض لاعبي الاتحاد وموظفي الوزارة المحبين للعبة تصبح بعدها هذه المبادرة بعد ذلك عرفاً سنوياً ولتسارع بقية الوزارات لإقامة فعاليات مشابه، لتنمية روح الفريق بين العاملين ورسم صورة مشرقة لما سيكون عليه المستقبل ليتبين لي ان اللعبة في العراق اعقد من أن تكتب في رواية تكون نهايتها سعيدة.

هي خليط من التراجيديا مع رشة كوميديا سوداء لاتغني ولاتسمن من ألم ولأصبح فيه بعد بضعة أسابيع مشروع مطاردة وخوف من غد لا ادري كيف ستكون تفاصيله. مطاردات في الواتس ، مطاردات هنا في الفيس والكثير من الرسائل التي تكون احيانا مجرد كلمة ، آخرها كانت من احدهم كتب بإيجاز:

"قضي الأمر"

آراء فكرية...

مراجعة كتاب: "تفاهة هايدغر" لجان لوك نانسي 2-1

د. شعوب الجبوري

ت: من الألمانية أكد الجبوري

لقد تطورت موجة حديثة من الدراسات التي تناولت هايدغر مع النشر والترجمة المستمرين لدفاتر الملاحظات السوداء. وقد أثارت هذه الدفاتر جدلاً فورياً, مهما, وخطيرًا، لدرجة أن فكر هايدغر كان موضوعاً للمناقشة في وسائل الإعلام الشعبية الناطقة باللغات الأوربية أو حتى قبل ظهور النشر للمجلد الأول. ومن المقرر أن يتم نشر هذه الدفاتر باعتبارها المجلدات الختامية لأعمال هايدغر الكاملة ()، وقد وجدت هذه الدفاتر مثيرة للاهتمام بشكل خاص فيما يتعلق بمحتواها المعادي للسامية. وتدور القضية السائدة لدى العديد من المعلقين والنقاد حول ما إذا كانت معاداة هايدغر الواضحة للسامية هي التزام شخصي من شأنه أن يبقي فلسفته عقيمة أو ما إذا كانت معاداة السامية متأصلة في جوهر فكره، ولا غنى عنها لمفهوم حقيقة الوجود ذاته. وينطلق كتاب نانسي "تفاهة هايدغر" من هذا السياق ويتجاوز هذا المأزق الأساسي المتمثل في الاختيار بين هذا أو ذاك من خلال القيام بقراءة ما بعد هايدغرية للدفاتر. إن نانسي، الذي يتمسك بما يعتقد أنه المورد الأساسي للمشروع الهايدجري المتمثل في "اختزال الأنطولوجيا الساذجة" ()، يضع موضع تساؤل ما بقي غير مدروس من قبل هايدغر ويكشف عن لعبة الدوافع التفكيكية والمعادية للسامية داخل فكره.

يتكون كتاب ("تفاهة هايدغر"، 2017)() من 12 فصلاً مرقمًا، وخاتمة وفصل تكميلي حول مقطع من (ملاحظات من 1-5)، المجلد الرابع من الدفاتر السوداء، والذي نُشر بعد كتاب جان لوك نانسي. إن مزايا سلالة هايدغر- ليفيناس- ديريدا واضحة في جميع أنحاء الكتاب مع التناقضات الموضوعة بعناية والتفسيرات المنظمة بدقة عند حدود إمكانية الخطاب. يعتبر كتابا مهما وخطيرا في نفس الوقت, وسابقة فلسفية مهمة, يُركز نانسي في المقام الأول على الدفاتر ويعمل داخل خطابه بافتراض معرفة سابقة بالأنطولوجيا الأساسية لهايدغر. يقدم الفصلان الأولان الإطار ويضعان بعض الملاحظات الأولية.

لا يحتوي الكتاب على مقدمة أو مقدمة للمؤلف؛ وبالتالي، فإن الفصل الأول يتحمل مسؤولية تبرير العنوان، "تفاهة هايدغر". يُشير نانسي مرارًا وتكرارًا إلى أن حقيقة كون معاداة السامية "تفاهة" لا ينبغي اعتبارها شيئًا من شأنه أن يؤدي إلى اللامبالاة النسبية باللحظات المروعة في التاريخ التجريبي. بل يعني ذلك أن مجموعة هايدغر ورثت بعض قيم الخطاب المعادي للسامية السائد في عصره. في الواقع، فإن تعريف هايدغر لليهودية بالمنطق الحسابي، والتلاعب، وعدم وجود تاريخ، والأممية، وإرادة الهيمنة مستمدة من "الخطاب الأكثر تفاهة، وابتذالًا، وتفاهة، وسوءًا ... الذي دعمه لمدة ثلاثين عامًا النشر البائس لبروتوكولات حكماء صهيون.() "

ولكن نانسي يسعى بعيدا إلى معرفة الدلالة الفلسفية لما يقوله هايدغر بهذه المصطلحات سيئة السمعة، والتي ستتجاوز حقيقة شهرتها. وتحقيقا لهذه الغاية، وقبل أي قراءة متأنية، يستبعد نانسي تفسيرا معينا غير مقبول – وإن كان لا يزال منتشرا – حيث يتم تحديد معاداة هايدغر للسامية باعتبارها شكلا من أشكال العنصرية أو على الأقل ربطها بها. ومع ذلك، ينكر هايدغر صراحة المبدأ العنصري في دفاتر الملاحظات، وأيضا في مساهمات في الفلسفة، لأنه "ينبع من مفهوم بيولوجي وطبيعي وبالتالي "ميتافيزيقي" (). وهذا لا يعني أن هايدغر لم يجادل بشأن اليهود باعتبارهم تجسيدا للابتذال الجشع للعالم ()، بل يعني أن "اليهود" في هذا السياق لا يدلون على تحديد عنصري. فماذا يعني ذلك إذن؟ هذا هو السؤال الذي يحله نانسي من خلال تحديد بعض المفاهيم الأساسية من السياق الأوسع للفكر الهايدغري في الفصل الثاني.

إن أول هذه المفاهيم هو "اختزال الأنطولوجيا الساذجة"، وهو مصطلح يستخدمه نانسي في إشارة إلى كتاب دريدا (1930-2004)() ("الكلام والظواهر"، 1967) ويساوي بين كل من التدمير الهايدغري والتفكيك الدريداني

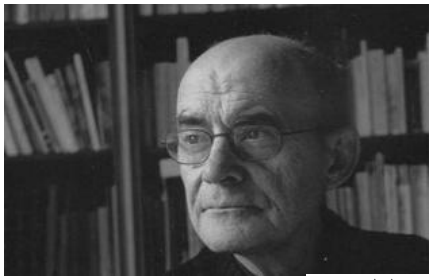

جان لوك نانسي

، والذي يشير هنا إلى الموقف النقدي العام لهايدغر والمفكرين الذين ساروا على الطريق الذي فتحه ـ بما في ذلك نانسي ـ فيما يتصل بالميتافيزيقا الغربية التقليدية من اليونان القديمة إلى هيغل (1770 - 1831)() وما بعده. و

ـ ثانياً، يتطلب اختزال الأنطولوجيا الساذجة طريقة جديدة في الأساس لفهم الميتافيزيقا، أي "بداية ثانية" للميتافيزيقا (). وهذه البداية الجديدة أو "البداية الأخرى" "بدايات" سوف تكون مدفوعة بالتدقيق المدروس والتساؤل الجذري الموجه نحو تصور الجوهر الإنساني باعتباره شيئاً مشتركاً بالتساوي بين الكتلة المتجانسة من البشر بغض النظر عن الكيفية التي يفهم بها الوجود نفسه تكوينياً فيما يتصل بكيانه. إن مثل هذا المفهوم للجوهر الإنساني، والذي يكمن في قلب الميتافيزيقا الغربية وخاصة عصر التنوير، يرقى إلى اقتلاع الوجود من زمنيته الأفقية النشوانية (الوجود والزمان، ح. 388؛ ترقيم الصفحات في الطبعات الألمانية اللاحقة.)()

ـ ثالثًا، الفهم التكويني للوجود الذي ينتمي إلى "شعب" ، والذي يتضمن فهمه المشترك تاريخًا مشتركًا "قصة" كأرضية مشتركة لهم. وكما تلخص نانسي وجهة نظر هايدغر بإيجاز، "يمكن اعتبار الشعب -الذي ليس عرقًا- قوة ذات بداية تاريخية "تاريخيا" (). وبالتالي تم تأسيس المعاملة بالمثل بين الشعب والتاريخ والوجود.

لقد سبق أن قيل إن الشعب ليس عِرقًا بل هو تحديد تاريخي، وتتطرق نانسي إلى مغزى وأهمية شعب معين في بداية الفصل الثالث، الشعب اليهودي، في سياق الدفاتر السوداء. يحتوي المقطع الافتتاحي على هذا الاقتباس الرائع من هايدغر: "إن السؤال المتعلق

↓

بدور يهود العالم ليس سؤالًا عرقيًا بل سؤال ميتافيزيقي يتعلق بنوع من الوسيلة البشرية التي، نظرًا لكونها غير مقيدة على الإطلاق، يمكنها أن تتولى "مهمة" تاريخية لاقتلاع جميع الكائنات من الوجود" (). وهذا ما يسميه بيتر تراوني "معاداة السامية التاريخية".

وعليه، فإن كون المرء يهوديًا يعني كونه في وسيلة بشرية معينة، لا تشترط القرابة أو أي ظرف بيولوجي أو طبيعي آخر. ومن كل هذا، تظهر القرابة بين اليهود و"الإنسان" كما يتجلى في "الوجود والزمان"، (1927) (ح. 129)(). من المؤكد أن هايدغر يفترض أنه يملك الحق في استخدام كلمة "يهود" للإشارة إلى شعب منقسم إلى "هم"، أي محاصر في وجوده اليومي غير الأصيل الذي يرى فيه العالم من خلال إضفاء طابع موضوعي علمي تاريخي. ومع ذلك، سيكون من غير المقبول أن نزعم أن "هم" مجرد تعبير ملطف عن "اليهود"، لأنه، كما يظهر الاقتباس أعلاه، بالنسبة لهايدغر، لا يتميز اليهود فقط بكونهم "غير مقيدين على الإطلاق" وبالتالي "لا أساس لهم"()، ولكنهم محددون أيضًا باعتبارهم أولئك الذين تتمثل مهمتهم التاريخية في "اقتلاع كل كائن" من خلال التفكير الحسابي والآلي()، والتي تفاقمت فقط منذ "البداية الأولى" للميتافيزيقا الغربية في الفكر اليوناني القديم. بعبارة أخرى، يعتبر هايدغر اليهودية أكثر من مجرد نمط بشري غير أصيل؛ إن هذا يشير أيضاً إلى المهمة التي من خلال إنجازها سوف يهيمن مثل هذا الزيف على العالم.

في الفصل الرابع، يتم تعزيز هذا الخط الفكري ويتم تقديم أحد الأسئلة الرئيسية في كتاب "تفاهة هايدغر"، ألا وهو السؤال حول كيفية تحديد هايدغر لليهود فيما يتعلق بتاريخ [تاريخيًا] الوجود، أو بعبارة أخرى، فيما يتعلق بمصير [مهارة] الغرب. ترسم نانسي هنا موازاة مذهلة بين السرد الماركسي ورواية هايدغر لليهود. بادئ ذي بدء، فإن تفسير ماركس (1818-1883)() لتجانس العمل في شكل "معادل عام" باعتباره اغترابًا عن القيمة الصحيحة للإنتاجية البشرية يتطلب فهمًا محددًا وموقفًا سياسيًا روحيًا ضد نوع معين من عدم التمايز (راجع رأس المال، ص 46-55 (1867).

هايدغر

وفي ضوء هذا التصوير تقرأ نانسي مطالبة اليهود لأنفسهم بمبدأ "السيطرة على الحياة بالآلية"()... "في اتجاه "نزع العنصرية" الكامل (إزالة العنصرية)() للإنسانية التي اختزلت إلى المساواة غير المتمايزة للجميع، وبشكل عام لجميع الكائنات" (). في خطاب مختلط لماركس وهايدغر، إذن، سيكون اليهود هم أنصار السلع بامتياز. وعلاوة على ذلك، يشير التوازي المختلف والأكثر إثارة للانتباه إلى أن كل من يهود الدفاتر السوداء والبروليتاريا يشيرون إلى ""نظام فكري لاهوتي مقدس ورمزي معين: نهاية تقترب - نهاية، وبالتالي بداية - وهذا المجيء يتطلب شخصية، وتحديد القوة المبيدة"(). هذه المرة، اليهود هم البروليتاريا بامتياز باعتبارهم حاملي مهمة إلغاء تعدد وجود الشعوب. ولذلك، ومع عجزهم عن الاعتراف بانتماء الوجود الأساسي إلى شعب، فإن اليهود في خطاب الدفاتر السوداء يشكلون القوة التاريخية التي تدفع الغرب إلى اغترابه الذاتي المدمر.

في الفصول القليلة التالية، يوسع نانسي نطاق تحقيقه في تسمية اليهود في سياق القدر/التاريخ. قيل إن اليهود، فيما يتعلق بتحديدهم التاريخي، يجسدون انحدار الغرب، ويوضح نانسي أن الاحتمال التاريخي القدري لتدمير الحضارة الغربية يُطرح باعتباره الشرط النهائي لخلاصها، أي البداية الثانية. والواقع أن هايدغر كان قد أكد بالفعل في "التغلب على الميتافيزيقيا"() أن التغلب على الميتافيزيقيا يستلزم مرحلة من الانحدار، وتؤكد الدفاتر أن تصوير هايدغر للغرب يشبه طائر الفينيق؛ "البداية الأخرى" ممكنة فقط بعد تدمير السلف (). ولكن هذا لا يعني، مع ذلك، أن القوة التاريخية التي اتسمت بها اليهودية هي تحقيق الفناء الكامل للغرب أو تحويله إلى لا شيء، بل يعني أن مخطط المصير الغربي يجب أن يضمر تجسيدًا لـ "الفشل في تحديد هويته، والاعتراف به، وقبول نفسه"() وبالتالي يجب أن يستخدم اليهودية كجزء من مصيره الأسمى.().

وبمجرد أن يتم تعيين مهمة "تدمير روح البداية"() لتكون تابعة للغرب نفسه، تصبح المهمة في آن واحد تأكيدًا للذات وتدميرًا للذات. من خلال تدمير نفسه، يفي الغرب "بضرورة مصيره، ويتطلب تدمير تدميره، من أجل تحرير بداية أخرى" (). وبالتالي، هناك مهام متعددة وتاريخيات متشابكة، تشكل التاريخ الفريد للوجود. تدرس نانسي هذه التاريخيات المتشابكة. إن هذا لا يطرح إطاراً لقراءة فهم هايدغر التاريخي لشعب الغرب فحسب، بل إنه يوفر لنانسي أيضاً هامشاً نصياً يمكن من خلاله أن تجعل مناورة التطرف سرد هايدغر موضوعاً لتساؤلاته الخاصة. وفي أثناء القيام بذلك، تنتقل نانسي من لعبة الغموض إلى تفسير واضح نسبياً لكيفية وضع هايدجر لليهود فيما يتعلق بتاريخ الوجود. هناك أربع عقد مهمة بشكل خاص تضع الأساس لخطاب تفكيكي داخل هوامش الدفاتر السوداء.

أول هذه العقد هي "البداية الأولى"، أي التفكير اليوناني القديم. "يحمل الغرب في داخله مصيراً (الموت)" ()، والذي تم نقشه من خلال مصير الوجود في "البداية الأولى"(). وهذا يعني أن كراهية الغرب لنفسه لم تكن غريبة على الفكر اليوناني القديم، كما لو كان اليهود قد فرضوها كقوة خارجية، بل على العكس من ذلك، فقد بدأها الغرب. "بدأ التآكل مع أفلاطون ... [الذي] ليس يهوديًا" ()، وليس من قبيل المصادفة بل كضرورة أن يفرض الكشف الأولي (حقيقة) الانحدار اللاحق. يقول نانسي إن التحقيق في هذه الضرورة يقع خارج نطاق الكتاب، باستثناء مرة واحدة فقط حيث قدم تلميحًا: "وهكذا تعلمنا أن الكشف يكون دائمًا أوليًا، ولكن أيضًا كان من الضروري أن يأتي الحجاب ليظهر لنا هذا" (53-4)(). ثم، نظرًا لأن "اليهودية" منقوشة في الفكر اليوناني القديم، فإن المرء يتساءل عن اختيار هايدغر "لليهود" باعتبارهم العامل الرئيسي للدمار الحديث. سيتم تقديم الإجابة في النقطة المحورية الثانية للخطاب، وهي المسيحية.

حلقة 2 / يتبع في العدد القادم

حكايات شعرية

مُشَاهَدَاتُ مَجْنُونٍ فِي عَصْرِ العَوْلَمَةِ

حميد الحريزي

مُشَاهَدَاتُ مَجْنُونٍ فِي عَصْرِ العَوْلَمَةِ

((1))

أَنَا شَاهِدٌ عَلَيْهَا
تَحْتَ ظِلَالِ رِمَاحِ القَصَبِ الصَّفْرَاءِ
ضَفَادِعٌ لَهَا فَحِيْحٌ، تَزْدَرِدُ الْأَفَاعِي
أَنَا شَاهِدٌ عَلَيْهَا
خِرَافٌ عَمْيَاءُ تَحْرُسُ الرَاعِي

****

((2))

حِمَارٌ يَمْتَطِي حِصَاناً عَرَبِيّاً
يُعَلِّقُ شَجَرَةَ نَسَبِهِ
قِلَادَةً فَوْقَ مُؤَخِّرَتِهِ وَ..
يَجُرُّ خَلْفَهُ طَائِرَةَ ((الْبَوْيِنْغ))

****

((3))

يَقْلَعُ طَقْمَ أَسْنَانِهِ
لِيَكْسِرَ بِهِ حَبَّاتِ الْجَوْزِ
وَيُقَلِّمُ أَظَافِرَهُ
بِمِعْوَلِ حَفَّارِيْ الْقُبُورِ

****

((4))

عَجَرِيَّةٌ ثَمْلَى
تُنْشِدُ لَحْنَ((الْهَجَعِ))
مِنْ فَوْقِ مِئْذَنَةِ الْحَيِّ
الْمُزَيَّنَةِ بِالدُّوَلَارَاتِ النَفْطِيَّةِ

****

((5))

طُعَانُ مَدِينَتِنَا
تَعَافُ الْبِرْسِيمَ
وَتَلْتَهِمُ أَوْرَاقَ وَرْدِ الْجُورِي
حَمِيْرُ قَرْيَتِنَا
تُدَرِّسُ سَاسَتَنَا عِلْمَ المَنْطِقِ
وَأَدَوَاتِ النَّصْبِ وَالْجَرِّ وَدُرُوساً فِي الإِمْلَاءِ

****

((6))

تَتَزَيَّنُ صُدُورَهُنَّ
بِقَلَائِدٍ مُرَصَّعَةٍ بِكُرَاتٍ
مِنْ بَرَازِ السُّلْطَانِ
نِسَاءٌ
لَا تُنْجِبُ إِلَّا بِأَمْرٍ مِنَ(قَضِيْبِ)) الْوَالِي

****

((7))

فِي قَاعَاتِ الدَّرْسِ
يُعَلِّمُنَا فَنَّ الْخَطَابَةِ أَخْرَسٌ
وَمُتَسَوِّلٌ أَعْمَى
يُعَلِّمُنَا فَنَّ إِدِّخَارِ الْفَلْسِ
وَشَيْخُ الْحَيِّ
يُعَلِّمُنَا فُنُونَ الْمُنْكَرِ وَالرِّجْسِ

****

((8))

مِنْ سُوقِ الْخُضْرَةِ
يَمْلَأُ كِيْسَهُ بِعِظَامِ مَوْتَاهُ
يَطْحَنُهَا
وَيَعْمَلُ مِنْهَا خُبْزاً
غَنِيّاً بِكَالِسْيَوْمِ عِظَامِ الْفُقَرَاءِ!!!

****

((9))

فِيْ مَدْرَسَةِ الْكَتَاتِيبِ
يَدْرُسُ فَنَّ الطَّيَرَانِ
بِالْبَخُورِ وَالزَّعْفَرَانِ يُحَضِّرُ النُّوَوِيَةِ
وَيَتَعَلَّمُ فَنَّ نِكَاحِ الغِلْمَانِ

****

((10))

أُنْظُرْ فِيْ نَقَّالِكَ
لِتَقْرَأَ ((مَسِجَاتِ)) الْقَهْرِ
وَتَرَى ((فِدْيَوَاتِ)) الْعُهْرِ
وَأُمُّكَ تَتَسَوَّلُ فِي طُرُقَاتٍ تَتُزُّ ذَهَباً أَسْوَداً

****

((11))

الْمُخْبِرُ السِّرِّيُّ لَا يَعْلَمُ فِي أَيِّ حُضْنٍ
تَرْقُدُ أُمُّهُ؟؟
وَلَكِنَّهُ يَعْلَمُ أَيْنَ يُخْفِي الْمُثَقَّفُ قَلَمَهُ
تَعَلَّمَ فَنَّ الرَّقْصِ وَالْمَصِّ وَاللَّحْسِ
لَكِنَّهُ لَا يَعْرِفُ كِتَابَةَ إِسْمَهُ

****

(12)

نَحْنُ مَنْ عَلَّمَ الْبَشَرَ فَنَّ الْبَيْعِ
بِغِشَاءِ بَكَّارَةِ فَتَيَاتِنَا
نَصْنَعُ طُبُولَ الْفَرَحِ
إِسْتَبْدَلْنَاهَا بِأَغْشِيَةٍ صِيْنِيَّةٍ
غَطَّتْ طَبْلَةُ ((بَكَّارَتِنَا)) كُلَّ الْأَرْضِ
رَقَصَ الْعَالَمُ عَلَى لَحْنِ طُبُولِ ((الْعَرْضِ))
مَفْخَرَةُ مَلَاهِي الدُّنْيَا طَبْلٌ عَرَبِيُّ الصُّنْعِ

****

(الرَّقْمُ الْمَنْحُوسُ)

الْعَالَمُ مَشْغُولٌ بِسِرِّ عَوْلَمَتِنَا
تُمَثِّلُنَا ((الدِّيْ)) فَهِيَ الرَّأْسُ
أَلْ((مُقْرَاطِيَّةُ)) ذَيْلٌ ،
يَجْرَحُ عِزَّتَنَا لَا نَقْبَلُهُ
نَحْنُ عَلَّمْنَا النَّاسَ سِرَّ الْحَرْفِ
وَسِرَّ النَّهْبِ وَسِرَّ((الْكَرْفِ))
فَلْيَتَوَجَّهَ كُلُّ الْعَالَمِ صَوْبَ قِبْلَتِنَا
فَالْعَالَمُ مَشْغُوفٌ بِسِحْرِ عَوْلَمَتِنَا

*****

أراء أدبية

حميد الحريزي ، وبركان انتفاضة تشرين..

هاتف بشبوش *

حميد الحريزي في درامته الثورية الشجاعة عن إنتفاضة تشرين في النجف الأشرف والموسومة (البركان) ، وهي من جنس الرواية القصيرة ، وكإنه يقول لنا بشكل ساخر : لقد منّ الله علينا في هذا البلد بثلاث : حرية التعبير وحرية التفكيربينما لا نملك المقدرة على تطبيق أي منهما . فما فائدة حرية التعبير المنصوص عليها في الدستور طالما ينتظرك الكاتم . حميد الحريزي كتب هذه الجدارية السردية المكثفة والهائلة بمعانيها وهو يعيش الأحداث بتفاصيلها الصغيرة والكبيرة ولذلك كان هو أحد أبطال الرواية وهو نفسه شاهد عل كل أحداثها فجاء الروي متناسقا جذابا ثوريا ودرامياً مختصراً ودامياً بذات الوقت . أضف الى ذلك كانت الأحداث تتصف بالحزن والدمع بسبب ماسقط من شهداء وجرحى كانوا في ريعان صباهم والمفروض أن يكونوا قد استمتعوا في الحياة الحرة الكريمة لكنهم إنتهوا الى الفناء والى العميق بسبب طغمة سياسية تمسكت بثوابتها المقيتة وسحقت كل نفسٍ حيّة أرادت الإستمرار بحقها المشروع في جمال الحياة ومتطلباتها في الحب والديمومة والرخاء . هؤلاء الشباب الذين سقطوا في ثورة تشرين منذا العام 2019 أرادوا تحرير الفقير من أغلاله وأرادوا أيضا تحرير حتى أصحاب الميليشيات المغرّر بهم بشعارات الدين والخرافة ولكن كمن يقول (يصعب تحرير الحمقى من أغلاللهم) ، ولذلك من الضرورات الملحة أن يمتلك الإنسان إرادة حرة تصل به الى الإنعتاق من فكرة تعاليم الدين المسيّس أو حتى من الأله الرابض في صومعته بلافائدة تذكر سوى هيولهِ الذي يصبح قطباً للقتال والمناكفة والتناحر ومامن حلولٍ في الآفق الدامي .

الشهداء الذين رحلوا في الإنتفاضة لايهمهم شيء سوى الوطن ولايهمهم إذا ماتوا وغادروا الحياة وأعطوا ماتبقى من أعمارهم الى الباقين كنذرٍ أو رمز يعلّق في ستار المخيمات أو يكتب على الحيطان النجفية وأزقتها المترامية القديمة والحديثة ، الشباب الذي رحلوا في الإنتفاضة كانوا يعرفون سبب رحيلهم فيما إذا رحلوا ولذلك كانوا ابطالا شجعانا لاتهمهم المغريات ولا النفائس وسرقة صندوق الشعب كما يفعلها السياسيون اليوم ، رحلوا على غرار ما قاله الكاتب الشهير غسان كنفاني (لاتسأل راحلاً عن سبب رحيله ، لانه جهز عذره قبل رحيله) .

رواية (البركان) كما قلت هي من جنس الرواية القصيرة. وهذا الجنس من الروي يختلف إختلافا كليا عن الرواية المعتادة فهي لاتهتم بتفاصيل الوصف الخارجي والداخلي أو وصف الطبيعة والأمكنة كما في الرواية المعتادة فهي سريعة القراءة كما أزماننا هذه التي يتماثل بها التسارع في كل شيء .

الرواية أرخّت كل الفواصل التي مرت بها ثورة تشرين النجفية ومن ثم توسعت الى تشرين في كافة أرجاء البلد عدا مناطق كردستان والمناطق الغربية وهذه لها أسبابها وقد وضحتها البانوراما الدرامية في عدد من صفحاتها وأوضحت سبب عدم مشاركة هذه المناطق من خلال النقاش الدائر بين المنتفضين وقادتهم .

الرواية كان لها بطلاً وهو (مصطفى) يأتي الى حميد الحريزي كاتب الرواية ويقول له أنا قرأت روايتك (الثلاثية) القديمة وأبكتني الشخصية المحورية بها (مظلوم) وتلك الرواية كانت تتحدث عن الشيوعيين ونضال الفلاحين أنذاك ضد الإقطاع في أيام زمان مضى . كان مصطفى بطل رواية

(البركان) شابا من أبطال الإنتفاضة ، فهنا حميد يريد أن يقول لنا مامدى تأثير ما نكتبه على الشباب وفي جعلهم في طاقتهم وعنفوانهم الثوري مثلما كنا سابقا في ذلك الجيل السبعيني والستيني حيث كنا نقرأ (رواية العقب الحديدية لجاك لندن) أو (رواية الأم لمكسيم غوركي) تلك الروايات التي أنشأت جيلا ثوريا قل نظيره في مقارعة الطغاة بشكل عام والبعث بشكل خاص .

رواية حميد تناوت الجانب التأريخي للعراق وكل المآلات السياسية التي وصلنا اليها الآن ، تناولت في مجمل حواراتها كيف كان الشيوعيون وماتعرضوا له من قمع تحت رايات رجال الدين منذ ذلك الوقت الذي أفتى به رجل الدين المعروف بفتواه البغيضة (الشيوعية كفر وإلحاد) بينما الشيوعيون يتعرضون لأبشع أنواع التعذيب بسياط جلادي البعث فكانت تلك الفتوى حماية للبعثيين . فأي فتوى هذه التي تساند المجرم وتعارض الثوري المناضل ولازالوا حتى هذا اليوم بفتواهم يناصرون الظالم على حساب الفقراء والمعدمين بحجة أن الثوار كفرة خارجين عن دينهم وطائفتهم فخلق مجتمعا طائفيا عرقيا تحت راية الدين المزيف وخزعبلات رجالاته . ومن بين كل هذا الألم المتصاعد تبرز الشبيبة بكل طاقاتها لتحتشد وتنتفض ضد القمع الكهنوتي المنظم ، فيبدأ مصطفى بطل الرواية بصحبة أصدقاءه بالإنتفاضة التشرينية التي لابد منها . وكانت شراراتها الأولى في 5/ إكتوبر/ 2019 عبارة عن تظاهرة هنا وهناك حتى كبرت في رفع شعاراتها (بإسم الدين باكونة الحرامية) ثم شعار (الشعب يريد إسقاط النظام) . حتى بدأوا بنصب خيامهم في الساحات الشهيرة في النجف وأول خيمة في ساحة الصدرين . وقد ضمت العديد من

المخيمات وبلغت (291) خيمة ومنها خيمة للفلاحين ، خيمة لذوي المهن الصحية ، خيمة للأدباء ، خيمة للشيوعيين ، وخيمة للنساء بقيادة الناشطة (سهاد الخطيب) وخيمة للموظفين وغيرها من كافة شرائح المجتمع . كبرت الإنتفاضة وتنظمت نوعا ما رغم انها تفتقد للقيادة الحقيقية وأصبحت تخيف السلطة ، حتى بدأت الميليشيات التابعة للأحزاب تتغلغل بينهم بإمرأة رجالات السلطة كي تسحق المنتفضين بشتى الوسائل ، فدخلت بسكاكينها وأسلحتها النارية وبدأت بالتصفيات بينما رئيس الدولة أنذاك (الكاظمي) وقبله عادل عبد المهدي صامتون ماعدا أراءهم هنا وهناك من أنهم الراعي والداعم الأول لكل متطلبات الثوار المنتقضين وشعاراتهم ومن أنهم سيحاسبون الميليشيات والمندسّين ومن ورائهم ولكن كل كلامهم ذهب أدراج النسيان وبقيت الميليشيات تقتل وتجرح وتختطف الشباب حتى وصل بهم الأمر حسبما تقول الرواية الى اغتصاب عدد من الشباب والإعتداء عليهم جنسيا بكل وقاحة وصفاقة ودون أدنى رادع . إستشهد عدد من المنتفضين ومنهم (وعد صالح الغزالي) في عام 2019 وقبله في العام 2017 استشهد (علي هاتف الشبلاوي) بسبب المظاهرة ضد إنقطاع الكهرباء والجوع والبطالة المتفاقمة . وبسبب الهجمة الشرسة وقمع ثوار الإنتفاضة توقفت لفترة ولكنها عاودت نشاطها حتى في زمن وباء الكورونا . حتى وصل الأمر بتجريف كل المخيمات بالشفلات وبعض وسائل التجريف وانتهت وسحقت وبقي من آثارها سوى الأطلال .

وذات يوم يمر كل من الثائر (يوسف) والثائرة (شفاء) على الساحة ويذكروها بألم وحزنٍ عميقين حيث لم يتبق منها سوى أنفاسهم وبعض العصافير التي تمرعليها وتلتقط العيدان وتطير وكإنها ترسم الأمل والعودة من جديد لإشعال الثورة من رمادها المتبقي في أرواح الشهداء . في الاسبوع الثاني من التجريف يتم خطبة الرفيقين يوسف وشفاء حيث خطبوها من ابيها المناضل والثوري ومن ثم زواجهما الذي يكلل بتوأمين (ثائر) و(أمل) وهنا إشارة بارعة جدا من قبل الروائي حميد من أن الإنتفاضة ستعود ذات يوم ولايمكن لأحد إيقافها لآن الآناشيد هي التي تبقى وتزول كل مجنزراتهم . ومانراه اليوم يثبت ذلك حيث لازالت الناصرية اليوم بكل إحتجاجاتها وثوريتها وشبيبتها تطالب بما كان يناشد به الشهداء في ثورة تشرين . ومن المهمات الضرورية التي وثقها حميد الحريزي في الرواية هو أنه ذكر عدد الشهداء بالأسماء الصريحة الذين سقطوا في النجف الأشرف وكان عددهم 42 شهيد بين عام 2019 حتى عام 2020 وهذا عمل شاق من قبل حميد حيث يتطلب الأمر الدقة المتناهية والبحث الحقيقي حول كل من سالت دماءهم فبقوا فخراً وإعتزازا على مدى الدهور . وتبقى الدماء تنزف طالما هناك فقر وجوع ويبقى الوضع غير آمنا مثلما قالتها المافية الإيطالية (إذا لم يتوفر الخبز للفقراء سوف لن يتوفر الأمن للأغنياء) وكان هذا في أحد الأفلام التشويقية والجرائم ضد الإنسانية والموسوم (رحلة حبي في عالم العصابات) . الرواية أيضا تعطينا إنطباعا فلسفيا مفاده : إذا إستمرت الطغمة الحاكمة في الظلم فلسوف ينتج لنا مجتمعا معقدا مجتمعا يحاول الركض نحو العيش بأبشع الطرق ومنها سوف ينتج مجتمعا ذئبياً مفترسا لأن المرء سوف يفكر من أنه الأفضل أن يعيش ذئباً سنة واحدة ولايعيش عشرين عاماً كما سلحفاة . وهذه حصلت في الكثير من البلدان لكنها تجاوزت هذا المآل بعد سقوط آلاف من الضحايا بسبب الإقتتال الذي كان من الممكن إيقافه ولكن هكذا حال الإنسانية حين تتعرض للنكوص ولات ساعة مندمِ .

وفي الأخير أقول من خلال الروي الفني وإيقاعه وتشكيلته وسرديته التي تناولت الحقائق بلا رموز أو رتوش ، الروي الذي تجاوز في شروحاته ، حتى أصبح بإمكانه أن يُحزن القلوب الحرة التواقة للمعرفة بكل صفائها ونقائها حتى يجعلها الشاهد العصري لهذه الثورة النازفة حتى هذا اليوم فأقول : الشباب الذين استشهدوا في انتفاضة تشرين وغادروا أخوتهم واحبتهم وآبائهم ، استشهدوا ودفنوا تحت الثرى لكنهم ماتوا تحت طائلة القول الجميل الذي يُبقي الميت حياً بين ظهرانينا (نحن لانموت حين نفقد من نحب وانما فقط نحن نكمل الحياة بقلب ميت) .

---

* هاتف بشبوش/ شاعر وناقد عراقي

اعترافات عاشِقة

طارق الحلفي

كَطَيفِ حَمامَةٍ جَذلى
تُغادِرُ سُربَها النَّشوانُ
تَأسِرُني
ومِن خُيَلائِها المَلَكيّ أَجنِحَةٌ
تُفاجِئُني
وَفي طَيشٍ على شَفَتي تُقَبِّلُني
فَيَصدَحُ خافِقي طَرَباً وَيُسكِرُني
صَليلُ لُهاثِ حَضْرَتُها يُبَلِّلُني
تُمَوِّهُ عُشْقَها المَلهوفِ بِالطَّيَرانِ في وَسَنِ
بِمِلحِ الشَّوقِ طَلعَتُها المُحنّاةِ تُواعِدُني
سَأَرجِعُ إن أَتى صَيفٌ وَيُبهِجُني
سَأَرمي جَمرِيَّ الثرثار في أَمطارِكَ الفِتَنِ
وَأَحكُمُ بي وُضوءَ حِصارِكَ الأَبَدي
أُداعِبُ مُشتَهى النّارنجِ والخِلجانَ من مُهَجي
فَأَنتَ صَهيلُ مَلحَمَتي
غَزالُ النَّغمَةَ الأُولى بأغنيتي
وَأَنتَ دَليلُ مُفرَدَتي
وَصَحوي أَنتَ في سُكري
وَسُكري إن صَحا بَوحي
وَأَنتَ الأُفقُ والظُّلُّ
فَلا النَّأيُ بنا يَنأى
ولا التَّأويلُ في أُنشودةِ البوحِ
فَأَنتَ القَلبُ في قَلبي وَيشتعلُ

في عين العاصفة...الأدب المقاوم

هل ما بعد الطّوفان.. طوفانٌ من نوع آخر؟

* "هذهِ الكتابات وما يتبعها منْ رواياتٍ لأحداثٍ حاضرةٍ في ذاكرةِ الغزاويينْ، يحدثا أدباء وصحفيين فلسطينيين وحالَ لسانهمْ منْ ينقلها بدافعَ رفعِ المعنوياتِ لثلةٍ منْ المثقفين، الذي جارتْ عليهمْ الظروف، محاصرينَ في غزةَ وهيَ مبادرةٌ خصَ بها **الأستاذُ د. وليدُ عويدْ حسينْ** مجلةَ صوتِ الصعاليكِ مشكورا. "

بقلم توفيق أبو شومر

عذراً لم أتمكن من وداع شقتي الوداع الأخير!

أعتذر لمكتبتي المشحونة بذكريات السنوات، لأن قائد طائرة الأباتشي مَنحني إنذاراً معدوداً بالدقائق لكي أنجو بنفسي قبل أن يصدروا الحكم على شقتي الصغيرة بالإعدام!

أعتذر لشقتي التي أشرفتُ على بناء كل حجر من أحجارها، اخترتُ لها مواد لصقها ومكان صفها، أنفقتُ أسبوعاً كاملاً في زيارة محلات البلاط، لأتمكن من اختيار البلاط المحبب لي، شعرتُ بأنني لم أشترِ بلاطاً مصمتاً أصمّ بل اشتريتُ رفيقاً لي سيرافقني حتى آخر يوم في حياتي، حملتُ مغلّفات هذا البلاط بحنان، كما حملتُ مولودي الأول في سرير مهده، راقبتُ مصفف البلاط، أوصيتُه أن يكون رفيقاً حنوناً شفيقاً بكل بلاطة، كنت ألمس بيدي كل بلاطة تجف وأشعر بالنشوة والسعادة، حتى أنني وزعتُ الحلوى على المحيط عندما أكملتُ صف البلاط!

هكذا قرر قائد الطائرة أن يفجر حقده الدفين فوق بلاطي، وأن يقذف الحطام فوقه، لينزع منه لمعته المحببة في قرارة نفسي! لم أكن أتوقع أنّ سفاحاً عتياً سيغتال مني هذه السعادة، بقنبلة واحدة في ثوانٍ معدودة، وهو يرتشف كوب العصير بانتشاء في مقصورة طائرته!

لم أكن يوماً أتوقع أن تغتال مني قنبلةُ الحقد ذكرياتِ اختيار غرفة نومي التي اشتريتها بالتقسيط المُريح، وتغتال مني سعادتي عندما انتهيت من تسديد آخر قسط من أقساطها، شعرتُ بالأسى لأنني لم أودعها الوداع الأخير!

وددتُ أن أقف وسط قاعة الجلوس المكتنزة بالحكايا والذكريات لأرفع يدي اليمني سلاماً وتحية لمخزونها من الذكريات، كنتُ أودُ قبل الوداع الأخير أن أستعيد إحدى البسمات والقهقهات والطرائف المخزونة في كرسيها الطويل، كم كنت أشتاق أن أستعيد الأحاديث والحوارات الثقافية المخزونة في تضاعيف كراسيها المصففة على شكل ندوة من ندوات الثقافة والسمر، لم أكن أعتقد أن أرى مِزق أشلائها تملأ المكان!

ما أقسى حسرتي وأنا أطأ بقدميَ شظايا مطبخي، وأن يغتال مني قائد طائرة الحقد مذاقي وغذائي التقليدي ويجبرني على أن أحتمل ألم الشوق إلى نكهتي المفضلة في الطعام والشراب، كيف أستعيد نكهة كوبي الخزفي الخاص المشبع برائحة قهوتي التي أعدها بنفسي؟! كوبي هذا صديقي الملازم لمقالاتي وخطط كتبي، شهد هذا الكوب ولادة أربعة من كتبي، كنت أراه يتغلغل وسط حروفي يمنحها نكهة القهوة المُرة!

ها أنا أغادر مطبخي التقليدي التراثي، بدون أن أحظى برؤية هذا الكوب، لأن القنبلة غطته بالسواد ووزعته شظايا وسط الركام، ارتعشتْ يدي وأنا ألملم أطرافه وأضمه إلى صدري لأشيعه إلى مثواه الأخير.

هل يمكنني أن أتخلص من رائحة البارود التي سكنتْ في طبقيَ المفضلين، الطبقَ الأول مزين بوردة سوداء صغيرة وسط معجون فضي من الرخام الأبيض، والثاني مصنوع من المعدن المصقول، كيف يمكنني أن أعتاد على تذوق الطعام في ملجأي الجديد، وأن أنسى مذاق طبقيَ المفضلين؟!

ما الذي أغلق شهيتي للطعام؟ كنتُ أظنَّ أنّ السبب يعود إلى أنني خسرت كل شيء وأصبحت بلا مأوى، غير أنني أدركت بعد ذلك أنّ السبب يعود إلى غياب طبقيَ المفضلين، ولا أظنَّ أنني سأعتاد على الاستغناء عنهما؟

لم أكن أعلم أن اغتيال شقتي ستعيد إليَّ ذكرى مهدي الأول المغصوب!! نعم أصبحتُ اليوم أكثر قرباً من مهد ولادتي الأول!

د. عهد حلّس

يقولون

يقول رجل مات في الحرب ميتة طبيعية:
لم أحظَ بجنازة، ولم أرَ أصدقائي يبكون..
حتى اسمي تلاشى في ذاكرة من عرفتهم
"كما الظل".
يقول طفل:
وأنا أيضاً استشهد أبي في الحرب.
لم ينادني أحد ابن الشهيد البطل!
ومشيتُ وحدي بعد الجنازة عائداً إلى البيت
" في المدرسة".
تقول أم الشهيد:
وأنا أيضاً.. لم يُغنِ لي شباب الحي: " يا أمّ الشهيد زغردي كل الشباب ولادكي "
لم يدعُ أحدٌ قلبي للفرح، ربما كانوا سيفعلون
لو عاد ابني إليّ من تحت الركام كاملاً..
يقول رجل عابر في الحي:
وأنا أيضاً لم أمنح جيراني الشهداء حزني كاملاً
سوف أبكيهم عندما تنتهي الحرب دفعة واحدة..
يقول صاحب جثة في المشفى بلا اسم:
وأنا أيضاً كنت مع رفاقي الشهداء، وبقيت هنا وحدي بلا قبر..

عماد كريم

الوطن الداخلي

الوطن الداخلي بعيدا عن الوطن الخارجي, أي الوطن الجغرافي هو أن نسكن ونستكين في ذاتنا الداخلية الحقيقية, بعيداً عن أوهام العقل وأفلامه التي تدور ليل نهار. كارثة الإنسان أنه يتماها مع هذا الفكر الذي ينسجه العقل دوما, يصّور لنا ما هو خير وما هو شر, من هو الصديق ومن هو العدو ويصّور لنا غالبا ضروب من المصائب والكوارث المتوقعة. يتصور الإنسان حينها أن هذه الأصوات والقصص التي يسمعها هيّ أصواته, أو هيّ صوت الله يأمره بقتل العدو الكافر. أدى ذلك على الصعيد الجمعي إلى شن الحروب وقتل الناس بعضهم: في الحربين العالميتين تم قتل الملايين من البشر. وفي الحروب الطائفية في العراق ولبنان وسورية صار الذبح على الهوية والطائفة.

إدراك هذه الحقيقة تجعل الإنسان يصحى ويتوخى الحذر من هذه الأفكار والتصورات التي يرطن بها العقل وتوهم الإنسان بأنها أفكاره هوّ. هنا تبدأ صحوة الإنسان الذي يستعيد وعيه بالرجوع إلى اللحظة الراهنة التي هي الطريق إلى جذوره الحقيقية وموطنه الأصيل. فالحياة الحقيقية تكمن في العيش في لحظة الآن, الشيء الوحيد الذي نملكه, لا الماضي أو المستقبل. الكثيرون سيقولون إن هذا الكلام هراء, لأنهم قضوا حياتهم مع هذا الصوت, ولا يريدون الاعتراف بأن هذه الأفكار والتصورات هيّ خارجية مرتبطة بمعتقدات المجتمع والموروث الفكري فيه, لكنها لا تعّبر عن حقيقتنا وذاتنا الحقيقية الكامنة في حضورنا الواعي في اللحظة الراهنة.

عندما نلاحظ شجرة, بعيدة عن التصورات النمطية, سنكتشف بأنها ليس ممتدة الجذور في الأرض فحسب, بل هيّ مستكينة في ذاتها ومتوّطنة. هكذا يتوّطن الإنسان في ذاته عند عودته إلى اللحظة الراهنة, بعيداً عن للغط الخارجي.

في العبادات الآسيوية البوذية يعهد الناس إلى ترديد صوت رتيب في صلواتهم على نحو هووووووووووووووم
الإنكليزية مستقاة من هذا الصوت الهندي الذي يشير إلى عود HOME ويفسر الداعية الروحي "ايكارد توله" بأن كلمة
الذات إلى جذورها, إلى موطنها

علي أبو ياسين

حلاق الحرب

الحلاّقون منتشرون في كلّ مكان يخطر أو لا يخطر على البال، ولا يحتاج الحلاّق سوى كرسيٍّ بلاستيكيّ ومقصٍ ومشطٍ صغير وشفرةٍ وبشكير وفرشاة صغيرة لتنظيف الشعر المتساقط من الزبون، يصبح الحلاق جاهزاً لاستقبال أعظم الشخصيات والقيادات والفقراء والمتسولين والمشردين، فجميعُهم يجلس على الكرسي نفسِه ليتخلصَ من شعره في ظل صعوبة الاستحمام الذي أصبح ترفاً من كماليات حياة النزوح، لقد أضحى الشعر الكثيف للرأس والذقن سمةً غالبةً لشكل الرجال، وتربةً خصبة لتجمع الغبار والحشرات وما إلى ذلك. ترك الحلاقون صالوناتهم الفخمة خلفهم وتوجهوا إلى ما بعد وادي غزة، وأصبحت الجلسة المريحة للزبون والكالونيا ونوع الصابون وجودة البشكير ونوع المقص وشكل الحلاق ونظافة المحل وتعقيم المواد غيرَ ذي أهمية ولم تعد تسترعي انتباه الزبون أصلاً. هنا تجد الحلاقين منتشرين في الأسواق وإذا ذهبت إلى شارع البحر تجدهم يتجولون على طول الشارع وأمام بوابات المدارس. حتى بإمكانك مصادفتهم داخل المستشفيات. وهنا تبدأ حكايتي مع ما شاهدت من حوارٍ بين زبون وحلاق داخل مستشفى شهداء الأقصى. فقد كنت أنتظر صديقاً تواعدت أن ألتقيه داخل المستشفى أمام مدخل الاستقبال. من شدة الازدحام والتزاحم أمام المدخل المكتظ نتيجة إحضار الشهداء والجرحى وبكاءِ ذويهم وصراخِهم ووقوفِ مجموعةٍ من الرجال طوال الوقت أمام باب الاستقبال للقيام بأداء صلاة الجنازة على أرواح الشهداء قبل دفنهم. أخذتُ جانباً بانتظار صديقي بجوار حلاّق شابٍ نحيفٍ جداً، يحلق لرجلٍ خمسيني أنحفَ منه. في البداية استغربت وجودَ حلاّقٍ في هذا المكان الممتلئ بالشهداء والمصابين وعشرات الصحافيين والمصورين الذين ينقلون الأخبار إلى كل أصقاع الدنيا.

كيف خطر على بال هذا الشابِ أن يتخذَ من هذا المكان موقعاً لممارسة مهنة الحلاقة، وسرعان ما اكتشفت أن المستشفى نفسَه به عددٌ كبير من النازحين المنتشرين في باحاته، سواء في داخل الممرات أو بالخارج، وطبعاً هؤلاء جميعاً مع الموظفين والزائرين والبائعين بحاجة إلى حلاقة شعر رؤوسهم.

فجأة وأنا أراقب أداءَ هذا الشاب المبتكر للرزق، وإذا بالرجل يلتقط بعضَ خصالٍ من شعره الأبيض المتساقط ويتساءل: شعرُ من هذا؟! فيجيبه الحلاق شعرك يا عمي الحاج.. ينكر الرجل ما رأى ويقول هذا ليس شعري.. شعري لونه أسود قاتم، هذا الشعر لونه أبيض. فيرد الحلاق والله يا حاج هذا شعرك.. كل شعرك أبيض أبيض. فيجيبه الرجل كيف هذا ومتى حصل؟!. أنا أعرف شعري جيداً، طوال حياتي لونه أسود، متى تغيّر لونه؟!. هل لديك مرآة يابني؟!. مدّ الحلاّق يده إلى جيب شنطة سوداء بجواره، أخرج منها مرآة صغيرة وناولها للرجل الذي يبدو أنه لم ينظر إلى وجهه بالمرآة منذ عدة أشهر ، بمجرد أن وقعت عيناه على المرآة ذهب في نوبة بكاء صامت. عندها توقف الحلاّق عن مواصلة عمله. وهنا أيضاً توقف كلُّ شيء حولي، لم أعد أسمع صراخَ المكلومين ولا حركةَ سياراتِ الإسعاف ونسيتُ موعدي مع الصديق الذي أتيت من أجله ، غادرتُ بوابة المستشفى بصمت يشبه البكاء.. ابتعدتُ قدماي عن المكان وبدا كلُّ شيء أبيضَ اللون بلون دموعِ ذلك الرجل الخمسيني على كرسي الحلاقة..

أراء فكرية

الحرب الأهلية الذهانية العالمية ـ بقلم فرانكو بيراردي ـ 3

د.الغزالي الجبوري
اختيار وإعداد

ت: من الإيطالية أكد الجبوري

وحتى في قارة أمريكا الشمالية هناك اندفاع للتسلح، وكأن أربعمائة مليون سلاح ناري لا تكفي منتشرة بين سكان يبلغ عددهم ثلاثمائة وثلاثين مليون نسمة.

عندما كتبت "الأبطال" كنت أعلم أن هذا لم يكن موضة عابرة، وأن الدمار النفسي الناتج عن المجتمع شديد التنافسية سيستمر في تغذية جنون القتل الذهاني. ولكن لم أكن أعلم حينها أن هذه الحرب الأهلية المضطربة سوف تتقارب مع حرب قديمة الطراز من القرن العشرين. وها نحن هنا، نشاهد على شاشة التلفزيون نفسها بايدن وهو يعد بإرسال المزيد والمزيد من الأسلحة الفتاكة إلى عملائه الأوكرانيين، وبايدن يذرف دموع التماسيح على أعمال العنف في أوفالدي، حيث حبس سلفادور راموس نفسه في المنزل وهو في الثامنة عشرة من عمره. فصل دراسي في مدرسة ابتدائية وأطلق النار على الأطفال والمدرسين، مما أسفر عن مقتل 22 ضحية بريئة، وهو نفس عدد المدنيين الذين يموتون تحت القنابل الروسية في ماريوبول وسيفيرودونيتسك.

من هو سلفادور راموس؟ كان سلفادور مراهقًا ولد في إحدى العائلات العديدة التي فرت من بلدان أمريكا الوسطى. الأم مدمنة مخدرات، مثل الملايين من الناس في هذا البلد، حيث يتم توزيع المواد الأفيونية الرخيصة لسنوات كعلاج للتعاسة.

لأن شعب الولايات المتحدة هو الشعب الأكثر تعاسة في العالم، فإن الطلب على المواد المسكنة للألم هائل، وبما أن الولايات المتحدة بلد تمتلك فيه الشركات الكبيرة كل القوة والفقراء ليس لديهم أي حقوق، فمن الطبيعي لانتشار الإدمان على المخدرات، وهو الأمر الذي تروج له شركات الأدوية الكبرى.

اعتنت جدة سلفادور راموس بحفيدها، وما نعرفه عن حياة الصبي يكفي لتفسير سبب رغبته في الانتقام. عائلة مهاجرة فقيرة جداً. تقول الصحف إن زملائه عزلوه وأساءوا معاملته، لأنه كان فقيرا، لأنه كان يتلعثم قليلا، لأنه كان يرتدي ملابس الإيمو، ولأنه، في وقت ما، بدأ في استخدام قلم رصاص لتسليط الضوء على خط عينيه. كان لها وجه جميل للغاية، وفي الصورة لديها شعر طويل ومظهر أنثوي حزين ولكن حلو.

ترك سلفادور راموس المدرسة، التي كانت بالنسبة له مكانًا للعذاب والإذلال. ثم عاد إلى المدرسة ومعه بندقيتان آليتان، وحقق العدالة بقتل نحو عشرين طفلاً.

قال بعض علماء النفس إن سلفادور ربما أراد قتل طفولته، التي لا بد أنها اتسمت بألم الانفصال عن والدته، والفزع من قسوة عالم البالغين، وشر أقرانه. وهذا يعني أنه في نهاية المطاف، فإن النتيجة التي توصل إليها سلفادور متماسكة ومفهومة تمامًا: لقد حرر حوالي عشرين من زملائه الرجال من حياة كان من المؤكد أنها كانت مؤلمة وبغيضة ومهينة، مثل حياتك. وحرر نفسه من تلك الحياة التي لم تعد لديها أي إمكانية لأن يكون غير ما كانت عليه طفولته.

قرأت أن سلفادور قال ذات يوم إنه يريد الانضمام إلى مشاة البحرية حتى يتمكن من القتل. على الرغم من أصوله والتهميش الذي قُدرت له من قبل الولايات المتحدة، فقد أصبح سلفادور أمريكيًا حقيقيًا، قاتلًا طموحًا يعرف أنه يستطيع التعبير بشكل كامل عن قدراته ورسالته من خلال الذهاب إلى بلد بعيد حيث، كما في أفغانستان وكما هو الحال في أفغانستان. وفي العراق، يمكن قتل الرجال والنساء والأطفال دون عقاب. بينما كان يأمل في القتل من أجل الدفاع عن وطنه، هل قرر سلفادور تدريب نفسه عن طريق شراء واستخدام بندقيتين من طراز أ.ر15 وأكثر من ثلاثمائة رصاصة؟ لا، لم يكن الأمر يتعلق بالتدريب على الحرب. الحرب في كل مكان، أينما يوجد أعداء يجب القضاء عليهم. كل إنسان هو هدف. في البداية أطلق النار على جدته في وجهها، لكنها نجت، أيتها الجدة المسكينة. وهنا، الجدة، من بين كل هؤلاء، هي الشخصية التي أتعرف عليها أكثر من غيرها.

وقبل أسبوع من مذبحة مدرسة أوفالدي، دخل شاب آخر يبلغ من العمر 18 عاماً، يُدعى بايتون س. جيندرون، إلى أحد المتاجر الكبرى في بوفالو وأطلق النار على الأشخاص الذين كانوا يتسوقون، مما أسفر عن مقتل عشرات الأميركيين من أصل أفريقي واثنين من الأشخاص غير المحظوظين. أعلن الشاب جيندرون عن نواياه في بيان عنصري نُشر على الإنترنت: معارضة الاستبدال الكبير بالسلاح، وغزو السود وغيرهم من غير البيض. وقد تضخم الهوس العنصري في اللاوعي الأبيض، الذي أصبح غير قادر على التعامل مع استنفاد قوته.

يؤجج الانحدار الديموغرافي والاجتماعي والفكري للعرق الأبيض موجة من العنف تتخذ أشكالا مختلفة، من مذبحة بوفالو إلى قرار الحكومات الأوروبية بإغراق الأفارقة الذين يحاولون عبور البحر الأبيض المتوسط بينما تستضيف ملايين اللاجئين الأوكرانيين الفارين من الحرب المسلحين من قبل الغربيين. ومن وجهة النظر هذه، فإن الشاب جيندرون لديه كل الحق في أن يعلن، كما فعل أثناء جلسة الاستماع الأولى(لأنه لم ينتحر، على عكس أغلب مرتكبي جرائم إطلاق النار الجماعي)، أنه أميركي حقيقي.

الأسلحة! المزيد من الأسلحة!

في 29 مايو/أيار، في أوفالدي، في بلدة تكساس حيث وقعت مذبحة المدرسة الابتدائية، اشتكى جو بايدن قائلا: "الكثير من العنف، والكثير من الخوف، والكثير من الألم."

يحاول الديمقراطيون، دون جدوى، تنظيم تجارة الأسلحة بموجب القانون (على الرغم من فوات الأوان، لأن الأقبية الأمريكية مليئة بها بالفعل)، وفي نفس الأيام يرسلون أطنانًا من المواد الحربية إلى الأولاد الأوكرانيين حتى يتسنى لهم نفس الشيء. تندلع النار في كل مكان: الانتحار المميت للعرق الأبيض.

بعد يومين من مذبحة تكساس، انعقد مؤتمر محبي البنادق، الذي أطلق عليه اسمNRA ، بالقرب من أوستن. يقول أنصار الرابطة الوطنية للبنادق، ومن بينهم دونالد ترامب وتيد كروز، بإنسانيتهما وذكائهما: "الطريقة الوحيدة لإيقاف شخص سيء يحمل سلاحا هي أن يحمل شخص طيب سلاحا". لكن التجربة تظهر أن هذه الفكرة غير ناجحة. بعد دقائق من دخول الرجل الشرير سلفادور راموس إلى مدرسة أوفالدي، وصل إلى مكان الحادث حوالي خمسة عشر ضابط شرطة مسلحين بالكامل: رجال طيبون لم يفعلوا شيئًا. وماذا يمكنهم أن يفعلوا؟ إطلاق النار عبر الجدران بهدف قتل المزيد من الأطفال؟

يقول مالك شركة مصانع الأسلحة في وسط تكساس في أوستن، مايكل كارجيل، 53 عامًا، إنه سيكون من الخطأ تنظيم تجارة الأسلحة العسكرية. "فقط رجل مجنون يمكنه دخول مدرسة ابتدائية وقتل الأطفال. تغيير القوانين لن يغير شيئا. لا يمكن ضبط الجنون".

وأنا أتفق مع السيد مايكل كارجيل من أوستن: لا يوجد قانون يمكن أن يحكم الذعر، والاكتئاب، وإدمان الإعلانات، والمؤثرات العقلية التي تغير السلوك العدواني. لا يوجد قانون يمكنه إنقاذ أمريكا. وفي هذا فإن ميشيل غولدبرغ على حق: فالولايات المتحدة محطمة بشكل لا يمكن إصلاحه لأن العنف والجريمة والحرب ليست نتيجة لإرادة سياسية، لإرادة سياسية معقولة ولكنها إجرامية. لا: إنها في المقام الأول نتيجة لحالة ذهنية من اليأس المطلق، وبالتالي آثار التصميم على الانتحار الذي يصبح عدوانيًا.

لا يوجد قانون يمكن أن ينقذ أمريكا، ولا توجد سياسة يمكن أن تنقذ بلدًا دمره الذهان وخرف الشيخوخة والعدوان القاتل لشبابه، الغاضبين والمكتئبين بسبب المكان الذي دعوا للعيش فيه (دون أن يطلبوا ذلك). (ذلك)، "دون التعبير عن توفره (الخطيئة تبدو واضحًة أنها متاحة, في كل مكان)، المكان الجهنمي، الذي لا يمكن التنفس منه، عدواني، مكان بلا رحمة، بلا حنان، بلا أمل، بلا ذكاء.

الحلقة 3 الأخيرة

أيام زمان

في حضرة الأم ووداعها.

سعاد الراعي

في مطار عمّان الدولي، وفي منتصف التسعينات، كان الليل قد أرخى سدوله والساعة تشير إلى التاسعة مساءً. تجمع القادمون إلى عمّان بالمئات، وكانت تقف وسط الحشود مع طفليها، تحيطهم ضوضاء المسافرين وصفوف المنتظرين أمام شباك فحص جوازات الواصلين. في ذلك الزحام، تقدم أحد موظفي المطار نحوها بخطى واثقة، وابتسامة مليئة بالاحترام، طلب منها أن تتجاوز صفوف المنتظرين لإنهاء إجراءات الدخول سريعًا. ادهشتها شهامة تصرفه، فشكرته بحرارة.

لم يكن في ذهنها سبب واضح لذلك التقدير والاحترام والتميز الاستثنائي، الا انها عزتها الى مظهرها المحتشم، ولباسها الإسلامي الملتزم الذي غطى كل جزء منها، من رأسها حتى أطراف قدميها، والذي يمكن ان يكون قد ترك انطباعًا جليلًا ومهيبًا. لقد بدت كما صورتها في جواز السفر اليمني الذي حملته خلال رحلتها إلى عمّان.

استقبلتها أختها وزوجها سلام، اختها التي لم ترها منذ عقدين، بفرحة غامرة. امتلأ البيت بحفاوة اللقاء، ودفء الكلمات، وكرم الضيافة. بعد العناق والحديث الطويل، أفصحت عن نيتها السفر مع طفليها طلبًا للجوء في إحدى الدول الأوروبية. طلبت مساعدتهم للحصول على فيزا لإحدى الدول كخطوة أولى للوصول الى الهدف، خاصة، وأنها تحمل جواز سفر يمني، وهو أمر، ربما، يجعل المهمة صعبة.

أبدى سلام كامل استعداده للمساعدة دون تردد. وخلال أيام التحضيرات، وبينما كانت الامسيات المليئة بالأحاديث والذكريات، فجرت أختها نبأ غير متوقع، حين قالت بهدوء:

"سلام مسافر إلى بغداد فجر الغد، وهو يريد اصطحابك معه لزيارة والدتنا".

كانت كلماتها صاعقة، أشعلت في ذهنها سيلاً من التساؤلات والمخاوف. مضت سنوات طويلة منذ ودّعت والدتها عند مطار بغداد الدولي. ها هي أمام فرصة قد تكون الوحيدة لرؤيتها مجددًا. لكنها كانت تعرف جيدًا ما تعنيه بغداد لها رغم ولعها وحبها لها.. وشغفها في رؤية والداتها.,, ولكن بغداد الان بالنسبة لها، مدينة مليئة بالمخاطر، خاصة وهي من السياسيين المطلوبين لأجهزة أمن النظام الصدامي الحاكم.

غاصت في بحر أفكارها، تائهة بين الرغبة في لقاء والدتها والخوف من عواقب الزيارة. لم يمهلها ذهنها الكثير من الوقت حتى قطعت أختها حبل تفكيرها قائلة:

"لا تخافي. أنت تحملين اسمًا وجواز سفر أجنبيًا. سلام لا يمكن أن يغامر هكذا إلا إذا كان واثقًا من النجاح. السفرة كلها سوف لن تستغرق سوى يوم واحد، بل أقل من ذلك".

لكن ماذا عن الأولاد؟ سألتها بقلق. فأجابتها: "سيبقون معي. لا تقلقي بشأنهم."

رغم كل تلك التطمينات، ظلّ قلبها مثقلًا بالهموم. فكرت في الاحتمالات التي قد تُفسد خطة الرحلة الى بغداد.. عيون الحراس عند نقاط التفتيش، النظرات والاسئلة المحتملة التي قد تؤدي الى الشك في شخصها وهويتها.. وسواها من الأسئلة.. فكرت أيضًا في زوجها، وفي إخباره بما تنوي وما ستقدم عليه. فهي ستترك طفليها في عمّان وتغامر بمصير مجهول.

أمام كل تلك الأفكار، بدت أختها مطمئنة بشكل يثير الدهشة. قالت لها بحزم: "سيكون كل شيء على ما يرام. لا داعي لإبلاغه الآن؛ أخبريه عندما تعودين بالسلامة". ثم أضافت بابتسامة: "نامي، فغدًا سيكون يومًا طويلًا."

كان سلام يتابع الحديث بصمت، لكنه قطع الصمت بنبرة مليئة بالثقة:

"أنا أتحمل كامل المسؤولية. سأوصلك إلى الوالدة وأعيدك إلى أطفالك بسلام. ولن يحدث شيء".

نظرت إليه مليًا، تقرأ ملامح وجهه، تبحث عن ذرة تردد أو خوف، لكنها لم تجد سوى الإصرار هكذا هو كما عهدته أيام الدراسة.
تنهدت بعمق، ثم قالت:

"هذه فرصة العمر بالنسبة لي، رغم ما تحمله من مخاطر. من يدري متى أستطيع رؤية والدتي إن لم أغتنم هذا الظرف؟"
كانت تعلم أنها تقامر بكل شيء، لكنها كانت على استعداد لخوض هذه المغامرة.

في فجر اليوم التالي، كانت الرحلة قد بدأت. رحلة ليست فقط نحو بغداد، بل نحو ذاكرة عمرها عقدين، نحو حضن أم كانت بعيدة لكنها لم تغب يومًا عن القلب. بينما كانت السيارة تقطع اولى الكيلومترات، كان قلبها يخفق بالأمل والخوف معًا.

تذكرت وجه زوجها، شريك روحها، وهو يودعهم بصمت مكسور وقلب مثقل بالألم. لم تستطع أن تنسى ملامحه الحزينة وهو يغلق باب المنزل خلفه، محاولاً أن يخفي دموعه وآهاته عن أعينهم. كان ذلك المشهد محفورًا في ذاكرتها ولما يزل.. صورة لن تفارقها أبدًا، تتوارى ملامحها رويدًا رويدًا كلما ابتعدت بهم سيارة الأجرة عن الدار، وهي متجهة إلى مطار عدن الدولي. كان الوشاح الذي يلف رأسها قد تشبع بالدموع، في حين نسجت عيونها خيطًا واهيًا بين لحظات الوداع القاسية وعالم الذكريات الذي بات ملاذًا، بالرغم من هشاشته، أمام واقع لا مفر منه.

لم يستطع الزوج مرافقتهم، ليس بقراره، بل لظروف قاهرة حالت دون ذلك. وعدها بأنه سيبذل قصارى جهده لتجاوز تلك العقبات والالتحاق بهم قريبًا، لكن وعده لم يكن كافيًا ليبدد مخاوفها. تضاربت مشاعرها بين ألم الفقد وأمل اللقاء. تساءلت وهي تغرق في دموعها: هل سأراه مجددًا؟ متى وكيف؟ أسئلة كبرت معها لتصبح ثقيلة كالصخر، تحجب عنها الرؤية نحو المستقبل الذي تتمناه.

كان قرار السفر ضرورة فرضها الواقع. عطلة المدارس كانت توقيتًا مثاليًا لتنفيذ الخطوة دون أن يُثير غيابها وأطفالها الريبة. لكن قلبها ظل مثقلاً بالذكريات الموجعة، خاصة بعد ما خلفته حرب صيف 1994 بين شطري اليمن. كانت تلك الحرب بمثابة الطعنة التي قسمت حياتهم إلى ما قبل وما بعد. الآثار النفسية الثقيلة التي ظهرت بوضوح على الاولاد، ولا سيما ابنها البكر، الذي كان أكثرهم تأثرًا. لم يكن يتجاوز الصف الرابع الابتدائي حينما هاجروا للعمل في اليمن بعد سنوات من الدراسة والعمل في بلغاريا. لكن الحياة في بلد تحكمه التقاليد الصارمة والدين المتزمت، والتي كانت قاسية عليه، بحيث لم يستطع التكيف مع القيود المفروضة على التعبير عن وجهة النظر الحرة والمغايرة للسائد آنئذ.. حتى أن السنوات الست التي قضاها في اليمن كانت بالنسبة له كابوسًا لا يكاد ينتهي، لتأتي الحرب وتجعل الواقع أكثر سوءًا.

قرار الرحيل إلى المجهول لم يكن سهلاً. ان أول عقبة واجهتها كانت انتهاء صلاحية جوازات السفر العراقية للعائلة، وهو أمر لا يمكن تجاوزه بسهولة بسبب المحاذير السياسية والأمنية المتعلقة بالنظام العراقي الذي لا تزال معارضته تشكل خطرًا عليها.

تدخلت إحدى زميلاتها في العمل، والتي كانت تتمتع بنفوذ قوي، لمساعدتها في استصدار جواز سفر يمني لها وللأولاد وبأسماء زائفة. ثم ان السفر من مطار عدن وبجواز سفر يمني، يتطلب المزيد من الحذر. كان عليها أن تتخفى تحت العباءة اليمنية الصارمة، والتي يكملها النقاب والبرقع والجوارب والقفازات، لتبدو كجزء من الصورة التي يرسمها المجتمع اليمني التقليدي للمرأة الملتزمة.

السؤال الأكبر ظل معلقًا: إلى أين؟

كان الأهم هو الخروج من دوامة اليمن بأي وسيلة. جاءت الإجابة عبر الأردن، حيث تقيم أختها المتزوجة من أردني زميل دراسة سابق في بلغاريا. هذا الرابط ساعد في تسهيل الخطة، لكن تبقى أمامها عقبة أخيرة: عبور مطار عدن، الذي كانت إجراءات التفتيش فيه صارمة إلى حد الاختناق.

تطوع أحد زملاء زوجها لتحمل مسؤولية تأمين المرور. ورغم كل التدابير الاحترازية، لم يكن المرور سهلاً. حين وقفت عند بوابات التفتيش، شعرت أن قلبها يوشك على التوقف. الخوف كان جاثمًا على صدرها، يكاد يكشفها رغم شجاعتها الظاهرة. حتى أولادها، الذين أدركوا حجم المخاطر، كانوا ملتصقين بها، يحاولون إخفاء وجوههم تحت قبعاتهم الصغيرة.

عبرت المرحلة الأولى بنجاح، لكن التوتر لم يهدأ. في صالة الانتظار، جلست بجوارهم إحدى زميلات العمل التي تعرفت على الأطفال. أثارت الزميلة شكوكها عندما لاحظت تنكرها بزي لم يعتده أحد منها، خاصة أنها كانت مثالاً للأناقة في العمل. طلبت منها بلهجة مرتجفة ألا تكشف سرها، ففهمت قصدها .

عندما استقرت هي وأطفالها أخيرًا على مقاعد الطائرة، تنفست الصعداء، لكنها لم تدم طويلاً. قبل إقلاع الطائرة بقليل، صعد ثلاثة رجال من أمن المطار لتفقد ركاب الطائرة او لغرض اخر.. الامر الذي اشعرها وكأن العالم بأسره قد توقف.. وما صعودهم الا مقصودا.. ومن اجلها. انكمشت على نفسها، تمسك أيدي أطفالها المرتجفة، وكأنها تحاول بث الطمأنينة في قلوبهم. كان الوقت يمر ببطء قاتل، كل ثانية تحرق روحها كالجمر. شعرت أن مصيرهم معلق بخيط رفيع.

وأخيرًا، نزل رجال الأمن من الطائرة. أغلقت الأبواب، وأقلعت الطائرة. عندها فقط، تنفس الأطفال بارتياح، وهتفوا بفرح عفوي: "هورا!" وكأنهم قد انتصروا في معركة مصيرية. ضمتهم إلى صدرها، ودموع الفرح تمتزج بدموع القلق. نظرت من نافذة الطائرة وهي تردد في قلبها دعاءً صامتًا: أن يجتازوا فضاء اليمن بسلام، وأن تكون هذه بداية رحلة جديدة نحو الأمان.

شعر زوج أختها بشيء من شرودها العميق، فتوجه إليها بنبرة صوته الهادئة والواثقة التي كانت دومًا ملاذًا للطمأنينة والثقة لمن حوله. أراد أن يخفف عنها، ربما لينتشلها من دوامة أفكارها، أو ليبدد بعضًا من قلقها الممزوج بالحنين، فتحدث عن المسافة الطويلة التي تفصلهم عن بغداد وعن محطاتها المتعددة. بدت كلماته كنسيم بارد يلامس أطراف الحيرة ويبدد الهواجس التي كانت تأخذ بتلابيبها. ابتسمت له امتنانًا لنبله. لقد أدركت في أعماقها أن تلك الرحلة لم تكن لتكتمل لولا شجاعته التي جعلت منه بطلها دون منازع.

حين وصلوا إلى محطة "طربيل"، كانت الحدود الفاصلة بين الأردن والعراق أشبه بعالمٍ جديد يفتح أبوابه ببطء. إجراءات الخروج من الأردن مرت بسلاسة، لكن ما أن اقتربوا من نقطة التفتيش العراقية، حتى انطلق سباق من الهمسات والحركات المتسارعة. موظفي الجمارك تسابقوا نحو السيارة وهم يتهامسون: "خليجية؟". لم تفهم ما يجري حتى التقطت أذنها حديثًا عن السيارة، ومحاولة أحدهم لعرض "شراء نوبة التفتيش"* مقابل مبلغ مالي لزميله المناوب .

نزل الجميع من السيارة لاستكمال الإجراءات. كانت جوازاتهم اليمنية والأردنية كافية لإثارة فضول رجال الحدود، الذين طرحوا أسئلة لا تنتهي عن صلة القرابة، وسبب الزيارة، ووجهتها ومدتها. استغرقت هذه المرحلة وقتًا بدا كأنه يمتد بلا نهاية، حتى جاء دورها للتوجه إلى قسم النساء. هناك، استقبلتها نساء شابات من موظفي التفتيش، كل منهن تحمل في نظراتها مزيجًا من الفضول والريبة.

إحدى المفتشات استوقفتها بسؤال فاجأها: "هل أنتِ يمنية حقًا؟ لم أرَ يمنية بهذه الأناقة والترتيب من قبل." أرادت أن ترد على هذه الملاحظة التي شعرت أنها تحمل في طياتها عنصرية خفية، لكنها آثرت كتمان انفعالها. أجابت بجفاء واضح وبلهجة يمنية خالصة، محاولة الحفاظ على هويتها دون أن تُفصح عن مشاعرها.

انتهت إجراءات التفتيش الشخصي بعد طلبات لا تنتهي شملت العطر وغيره حتى مشبك الشعر لم يسلم من التسليب. شعرت براحة عميقة حين تجاوزا هذه المرحلة، وأخبرها سلام بأنهم قد اجتازوا العقبة الأصعب في الطريق إلى بغداد. تحدث بصوته الواثق عن أمان الطريق نهارًا، وخطورته ليلًا، حين تسيطر عليه عصابات وقطاع طرق يشكلون تهديدًا حقيقيًا للمسافرين قد يصل الى حد الخطف والقتل.

فتحت زجاج النافذة بجانبها، وأخرجت جزء من راسها لتستنشق الهواء الذي حمل لها رائحة العراق. بغداد، عروس العواصم العربية، كانت في انتظارها. تدفقت ذكريات طفولتها وصباها أمام عينيها كلوحة مرسومة بألوان متداخلة، تزدحم فيها اللحظات السعيدة والحزينة، حتى آخر مشهد وداعٍ جمعها بوالدتها ودموعها.

حين اقتربوا من حيهم الذي تركته حينذاك، شعرت وكأنها تعود إلى قلب الزمن، حيث توقف كل شيء عند آخر لحظة غادرت فيها المكان. عرفته رغم تغير ملامحه، لكنه ظل ينبض بذكريات لا تموت. فجأة، اجتاحها شعور بالغيبوبة، وكأن الزمان والمكان تآمرا ليسلباها قواها. مال رأسها إلى الخلف، لكن صوت سلام أعادها إلى الواقع: "لقد وصلنا، اجمعي قواكِ".

ساعدها على النزول من السيارة، وقادها بخطى ثابتة نحو الباب. استقبلتهم زوجة أخيها، التي لم ترها من قبل، بابتسامة دافئة. طلب لها سلام قدحًا من الماء، وعندما هدأت قليلاً، تساءلت بلهفة: "أين أمي؟"

تفاجأت زوجة الأخ من سؤال الضيفة، إذ ظنّت في بادئ الأمر أنها أخت سلام. ولما كانت تخشى وقوع صدمة مفاجئة قد تهدد صحة والدتها عند معرفتها بعودتها بعد سنوات من الغياب، فقد رتّبت مسبقًا مع شقيقها، قبل قدومها إلى العراق، أن يُمهّد لحضورها بطريقة مدروسة. اتفقا على الادعاء بأن المرأة التي ترافق سلام هي أخته، ليترك للوالدة فرصة اكتشاف الحقيقة بنفسها دون تعجل.

وللتغلب على هذا الالتباس، بادر سلام بتوضيح الأمر قائلًا: "إنها أم يسار". حينها، استدركت زوجة الأخ الموقف، وأعادت الترحيب بها بحرارة، موضحة أن والدتها قد خرجت إلى السوق برفقة ابنها، وأنهما سيعودان قريبًا.

لم تكد تلتقط أنفاسها حتى عانقت عيناها صورة والدها الراحل المعلقة على الحائط. ابتسامته الحنونة كانت وكأنها ترحب بها من عالم آخر. انفجرت بالبكاء، وقبل أن تستجمع قواها، سمعت وقع خطوات أمها تقترب. هبت واقفة لتحتضنها، وانهارت على الأرض تقبّل قدميها. لم تستوعب الأم هذا المشهد، فظنت أنها أخت سلام. لكن صوتًا مرتعشًا اخترق الصمت: "ماما، أنا أم يسار، ابنتك"!

سقطتا أرضًا متعانقتين، والدموع تروي لحظة اللقاء بعد سنوات طويلة من الغياب. كانت الأم تتفحص ملامح ابنتها بذهول، وكأنها تقرأ في تفاصيل وجهها فصول الغربة والمعاناة. شكرت الله، وسجدت ركعتين حمدا له.

بالاتفاق مع العائلة، تقرر التكتم على أمر الزيارة لأسباب أمنية تضمن سلامة العودة إلى الأردن. ومع حلول الليل، اكتمل جمع الأسرة، وحضرت الأخت الأخرى وعائلتها. امتلأت الأجواء بفرحة اللقاء، وتبادلت الأحاديث عن أحوالهم وعن الرحلات التي اعتادت عليها، بحثًا عن الأمان المفقود.

رغبت بتفقد ما تركته من صور ووثائق، وكأنها تريد الإمساك بخيوط الماضي لتعيد ربطه بحاضرها. لكنها صُدمت عندما أخبروها أن والدتها، خوفًا على سلامة العائلة، دفنت كل ما يتعلق بها تحت الأرض، على أمل الحفاظ عليها وعليهم من أيدي الأمن. لكن رطوبة الأرض أتلفت كل شيء. حاولت أن تخفي حزنها، وفهمت دوافع أمها وعذرتها.

بقيت الأم بجانبها طوال الليل، تتفحص يديها وأصابعها، وكأنها تقرأ فيها تعب السنين. كان وداع الفجر يقترب، فاحتضنت والدتها، وأوصت الجميع بأن يحافظوا عليها، فهي أعز ما تملك. حين انطلقت السيارة، شعرت أن قلبها بقي هناك، مع أمها، فيما جسدها يتجه بعيدًا.

نظرت إلى سلام، وقد ملأتها مشاعر الامتنان، وقالت له بصوت خافت: "لقد منحتني أعظم هدية في حياتي. سأحملها معي حتى قبري".

الكاريكاتير البغدادي
مختارات هذا العدد - 15 كانون ثاني 2025

مَنصُور اَلبكْرِي الإنْسان.. رحل بِهدوء إلى السَّلَام الأبَديّ ، لَكِن إبْداعه الفنِّيَّ سيخلِّده

منصور البكري

ولد في 19 يناير 1956 ـ رحل يوم الخميس 4 نوفمبر ـ تشرين الثاني 2021

"صوت الصعاليك" نشر رسوم الكاريكاتير للفنان الراحل ((منصور البكري)) قام برسمها في زمن ((وباء الكورونا)) ووضعها بملف خاص للنشر في الصفحة الفنية التي كان يشرف على تحريرها في "صوت الصعاليك" منذ إصدار عددها الأول في 1 يناير 2021... وتنبأ بنشر ما تبقى لديها من رسومه لشخصيات عراقية وعربية وعالمية.